الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــوان المــذكّرة

التضمين ودلالته في تفسير "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" لابن عطية الأندلسي

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:

حيزية بدحوش

ياسمينة أوحايمي

إشراف الأستاذ:

أرزقي شمون

السنة الجامعية: 2020 - 2021

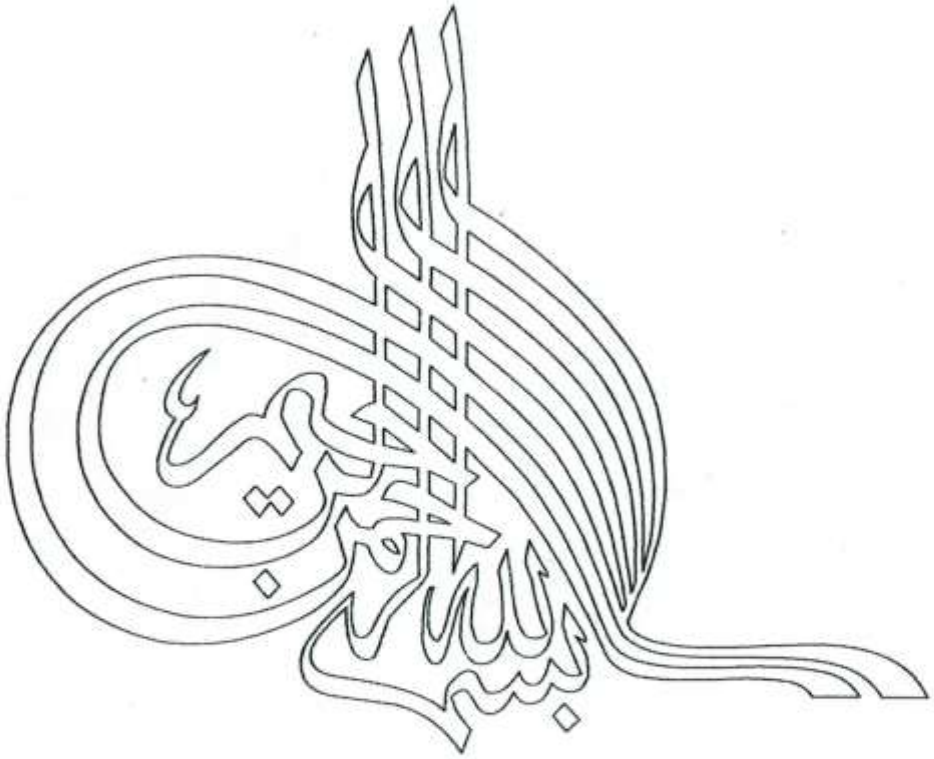
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر الجزيل للعلي القائل: **{اشكروا لي ولا تكفرون}.**

اللّهم لك الحمد والشكر في الأولى، ولك الحمد والشكر في الآخرة، وامتثالا لقوله صلّى الله عليه وسلم:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، واعترافًا منّا بالجميل، لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر للأهل الأعزاء الذين أعانونا وشجعونا على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح وإكمال الدراسة الجامعية.

كما نتوجه بجزيل الشكر لأستاذنا المشرف الدكتور:" شمون أرزقي" على قبوله الإشراف على مذكرتنا هذه، ورحب بالفكرة في تواضع عال، وما تفضّل به مشكورًا من تقديم ملحوظات علمية وفوائد منهجية.

كما نقدّم بشكرنا لأستاذتنا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات بجامعة عبد الرحمن ميرة بجاية.

كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل.

ربّنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحًا ترضاه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

إهـــــــــــــداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: **{وقل اعملوا فيسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}.**

إلهي، لا يطيب الليل إلاّ بشكرك، ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك ولا تطيب الجنّة إلا برؤيتك.

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار، من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أحمد الله أن مدّ في عمرك لترى ثمارًا قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك نجومًا اهتدي بها اليوم وغدًا وإلى الأبد" والدي العزيز".

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني...إلى بسمة الحياة وسر الوجود ...إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي " أمي الحبيبة".

إلى كل من اعتمد عليهم في كل صغيرة وكبيرة ... إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي.

إلى أخواتي اللواتي لم تلدهنّ أمي صديقاتي.

إلى أستاذي المشرف " الدكتور شمون أرزقي" الذي أكنّ له كل معاني الحب والاحترام، والذي كان له الدور الأكبر في مساندتي ومدّي بالمعلومات القيّمة...

وإلى جميع أساتذتي في الجامعة الذين كان لهم الدور في تكويننا.

داعية المولى عزّ وجلّ أن يطيل في أعمارهم ويرزقهم بالخيرات.

حيزية

إهـــــــــــداء

أحمد الله عزّ وجلّ على عونه لنا لإتمام هذا البحث.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقّق له أماله" أبي " الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

إلى التي صبرت على كل شيء، والتي رعتني حقّ الرعاية وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواتها لي بالتوفيق تتبعني خطوة بخطوة في عملي.

إلى من ارتحت كلما تذكّرت ابتسامتها في وجهي، "أمّي" أعزّ ملاك على القلب والعين جزاها الله خير الجزاء في الدارين.

إلى إخوتي وأخواتي، سندي في هذه الحياة ،كما أهدي ثمرة جهدي لأستاذي الكريم "شمون أرزقي" الذي كلّما أظلم الطريق أمامي لجأت إليه فأناره لي، وكلّما سألت عن معرفة زوّدني بها، وكلّما طلبت كمية من وقته الثمين وفرّها لي بالرغم من مسؤولياته المتعددّة.

إلى كل من قدّم لي يد العون لإتمام هذا البحث المتواضع إلى صديقاتي وأصدقائي.

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي هذه.

ياسمينة

مقدمة

الحمد لله الداعي إلى صراطه والموفق لطاعته، المعين على ذكره، وشكره وحسن عبادته، وعلى طلب العلم النافع والعمل الصالح، والصلاة والسلام على سيّدنا وحبيبنا وشفيعنا محمّد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي أكرمنا وتفضّل علينا بدراسة اللغة العربية وما تعلّق ببعض علومها وفنونها؛ لندرك مدى عمق هذه اللغة وجمالها، وإعجاز القرآن الذي نزّل بها، لنزداد حبًّا وتفقهًا في الدين. وبعد:

لقد امتازت اللغة العربية عن غيرها من اللغات بظاهرة الاتساع في المعنى، والناظر فيها يجد كثيرًا من العبارات والاستعمالات الموجزة التي تحتوي أكثر من المعنى.

وقد لفت هذا الموضوع انتباهنا منذ مدّة من الزمن، لما يحمله من عنصر التشويق، ولهذا أردنا أن ننتهز فرصة تخرّجنا لنجعل منه موضوع مذكرتنا هذه، مسلطين الضوء على جانب منه هو التضمين فكان تحت عنوان: التضمين ودلالاته في تفسير المحرّر الوجيز لابن عطيّة الأندلسي، ومن هذا العنوان يمكن لنا طر الأسئلة التي نوجزها فيما يأتي:

- ما مفهوم التضمين وما هي مقاصده؟
- هل التضمين حقيقة أم مجاز؟
- ما هي قياسية التضمين وشروطه؟

- ما الأنماط اللغوية التي يظهر فيها التضمين؟

ومن الأسباب التي دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع، وبالضبط" **كتاب المحرّر الوجيز لابن عطية**" واحد من بين كتب التفسير التي تستحق الدراسة من الناحية النحوية، فقد ظهرت جهوده في مجال تطبيق الدرس النحوي وإظهار بلاغة القرآن، ويعد هذا الكتاب موسوعة علميّة ضخمة تحتاج منّ الدراسة.

- التضمين كونه موضوع واسع فيه من الآراء والمذاهب، الشيء الكثير، وهو مسألة اختلف فيها الدّارسون من البلاغيين والنحويين.
- وكان البحث عن المراجع المناسبة من أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء جمع المادة العلميّة
- وكذلك تزايد تفشي فيروس كرونا المستجدّ الذي أثار ذعرًا كبيرًا في العالم، والذي منعنا من التنقل إلى الجامعات الأخرى بصدد البحث عن المراجع، والاستفادة منها لإتمام بحثًا
- ومن هنا فقد كان هدف الدراسة هو إبراز جهود ابن عطيّة في تعامله مع أسلوب التضمين عرض وتوجيها وتوظيفًا لإثراء المعنى وبيان أهمية هذا الأسلوب وكذا بيان الصلة بين النحو والتفسير.
- وقد اقتضت طبيعة المنهج المتّبع أن تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، إذ سيتّم استخراج مادة الدراسة من كتاب "المحرّر الوجيز" ومعالجتها من حيث المعاني والدلالات.

وقد جاءت خطة البحث مؤلفة من مدخل وفصلين تليهما خاتمة، حيث اشتمل المدخل على مسألة التضمين في التراث العربي النحوي، العروضي، البديعي والبياني، وخصّص الفصل الأوّل لمفهوم التضمين بحدّيه اللغوي والاصطلاحي وكذا مقاصده النحوية والبلاغية، التضمين بين الحقيقة والمجاز وقياسية التضمين وشروطه وفوائده، ثم جاء الفصل الثاني حيث تناولنا التضمين النحوي بأنواعه الثلاثة:(التضمين في الاسم، في الفعل، وفي الحرف)، كدراسة تطبيقية في شواهد من القرآن الكريم.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا العمل المتواضع، ونشكر جزيل الشكر كل من قدّم لنا يد العون وساعدنا في إتمام هذا البحث.

والحمـــــــد لله رب العالمـــــــــــين.

مدخل

التضمين ظاهرة تناولها النحويون وكذلك البلاغيون واللغويون والكلّ أخذ منه بطرق وعالجها بأسلوب، حيث ذكر ابن هشام إذ يقول:" قد يشربون لفظًا معنى لفظ آخر، فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً"[1]، ويفهم من كلام ابن هشام أن اللفظ إذ كان واقعًا موقع لفظ آخر فهذا دليل على أن الأوّل يتضمن معنى الثاني.

وللتضمين في اللغة العربية أربعة أنواع:

- **التضمين العروضي:** يعتبر تعلق معنى البيت بالذي قبله تعلّق يصحّ به[2]، ومثال ذلك قوله النابغة الذبياني:"

وهم وردا الجفار على تميـــــم وهم أصحاب يوم عكــاظ أنّـــــي

شهدت لهم مواطــن صادقــات أتيتهم بـــودّ الصــدر منـــــي

وهنا معنى البيت الأوّل لا يكتمل إلاّ في البيت الثاني.[3]

يرى هاشم ابن أحمد:" أنّ الدارس الحالي بالرغم من كل ما ذكر يعتبر التضمين العروضي انطلاقة جديدة ومحاولة إبداعية رائدة في بناء النصوص محاولا التعبير ولو جزئيًا في الأنماط السائدة، مصبغًا بهذا اللون نكهة جديدة، في تذوق المعنى".[1]

---

[1] ابن هشام الأنصاري، معنى اللبيب عن كتيب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد، د ط، 1991م، المكتبة العصرية، بيروت، ص 791.

[2] ينظر: الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمّد صديق المنساوي، ط1، 1985م، دار الفضيلة، القاهرة، ص54.

[3] النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1991م، ص127.

يري أحمد حسن حامد أننّا:" لا نجد خلافًا بين علماء النقد والعروض، حول مفهوم التضمين العروضي، لكن الخلاف وقع بينهم حول ما إذا كان التضمين بالمفهوم السابق عيبًا أو لا والحاصل أنّ أغلبية النقاد يرونه عيبًا".[2]

- **التضمين البياني:** أوّل من تعرّض للتضمين البياني هو الروماني إذ جعله بابًا من أبواب البلاغة، وعرّفه بقوله:" تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة يدّل عليه الكلام دلالة الإخبار والآخر ما يدّل عليه دلالة القياس".[3]

ويقصد بالتضمين البياني تقدير حال يناسبها المعمول بعدها كونها تتعدى على الوجه الذي وضع عليه ذلك المعمول على الوجه المذكور.

وذهب ابن كمال باشا إلى "أنّ التضمين البياني هو التضمين النحوي"[4]، ومنه قوله تعالى: {ولتكبروا الله على ما هداكم} [البقرة/185]، والتقدير في الآية ولتشكروا الله على هدايته إياكم.

فتضمن الحذف المعنى الأصلي وهو نهاية الحمد إلى الله عزّ وجلّ.

---

[1] هاشم ابن أحمد العزام، التضمين العروضي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، د ب، ع: 43، 2007م، ص484.

[2] أحمد حسن حامد، التضمين في العربية بحث في البلاغة النحو، ط1، 2001م، دار العربية للعلوم، بيروت، دار الشروق، الأردن، ص35.

[3] الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: مُحَمَّد خلف الله أحمد ومحمّد عرفان زعلول سلام، ط3، 1976م، دار المعارف، مصر، ص 102.

[4] الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، تح: طه الرؤوف سعد، د ط، د ت، المكتبة التوقيفية، مصر، ج2، ص138.

علّق الأستاذ أحمد الإسكندري على النحويين بأنّهم يغلون، فيجعلون المحذوف أصلًا، والفعل تابع على تقدير أنّه حال[1] ومثال ذلك قول المتنبي:" على قدر العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[2] وهنا حرف الجرّ (على) يتضمن دلالة(الباء)"

- **التضمين البديعي:** التضمين في علم البديع فنّ المحسنات اللّفظية البديعيّة مثل: السجع، الجناس، الاقتباس.

وأقدم من ذكر التضمين البديعي هو ابن المعتزّ لكن دون أن يعرفّه[3]، بيد أننّا نستطيع اكتشافه في المثال الذي يلي:

عوذ لما بت ضيفا له أقرضه منيّ بياسين

فبت والأرض فراشي وقد غنت قفا نبكي مصاريني.[4]

وقوله فقفا نبك مأخوذة من مطلع معلّقة امرئ القيس في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل.[5]

ومن خلال المثال اكتشفنا أن ابن المعتز يقصد هنا أخذ الشاعر من شاعر آخر بيتاً أو دونه وتضمينه في شعره.

---

[1] عبد الجبار التوامة، التعددية والتضمين، في الأفعال العربية، ط3، 1994م، د ب، ص100.

[2] أبو الطيب المتنبي، الديوان، د ط، 1983م، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، ص385.

[3] أحمد حسن حامد، التضمين في العربية بحث في البلاغة والنحو، ص18.

[4] ابن المعتر، كتاب البديع، ط1، 2012م، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ص82.

[5] الشنقيطي أحمد أمين، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ط1، 2005م، مكتبة المعارف، بيروت، ص59.

يعرّف ابن رشيق التضمين في قوله: " التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثّل".[1]

والتضمين عند رشيق يعني القصد.

أمّا الجرجاني فقد عرّف التضمين في قوله:" تضمين الشاعر شعره من شعر غيره، فإن كان المأخوذ بيتاً أو أكثر سمي (استعانة) وإن كان مصرعًا فما دونه سمي إبداعًا".[2]

وكذلك رأي الثعالبي يختلف عن رأي ابن المعتز في التضمين البديعي فنجد أمثلة كثيرة أوردها في هذا السياق مثل قول الخوارزمي:"

واشتدت في داري وفيما أرى بها أمن أم أوفى دمنة لم تكلّم.[3]

مأخوذة من مطلع معلّقة زهير ابن أبي سلمى الذي يقول:

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم بحومانه الدرّاج فالمتثلّم.[4]

- **التضمين النحوي:** هو إشراب لفظ بلفظ آخر فيأخذ حكمه، أو كلمة تؤدى مؤدّى كلمتين، كقوله تعالى: {ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله} [البقرة/235]، حيث ضمن

[1] أحمد حسن، التضمين في العربية بحث في البلاغة والنحو، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص18.

[4] حجز عاصي، شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى، ط2، 1998، دار الفكر العربي، بيروت، ص105.

تعزموا معنى تنووا فعدّي تعديته، أي عدّي بنفسه لا ب (على) لقوله عزمت على كذا لا عزمت كذا.

أول من أشار إلى مفهوم التضمين سيبويه في قوله:" ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غبر حاله في سائر الكلام".[1]

وقد عرّف ابن جنيّ التضمين في كتابه الخصائص بقوله:" اعلم أنّ الفعل إذ كان بمعنى الفعل الآخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتّسع وتوقع أخذ الحرفين".

موقع صاحبه إيذانًا هذا الفعل في معنى ذلك الفعل فجيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه".[2]

" التضمين هو إشراب اللفظ معنى آخر وأخذه حكمه... والتضمين في واقعه باب واسع مع أبواب اللغة، يعمل على توسعتها وتكثير إجازاتها"[3]، الإشراب هنا يعني المخالطة، أي إنّ اللفظ الواحد يختلط فيه معنيان: معنى يدل عليه اللفظ ومعنى يدل عليه السياق".

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ج1، ط3، 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة،51.
[2] لبن جني،الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، ج1، دط، 1952م، دار الكتب المصرية، مصر، ص308.
[3] اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1، 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت،ص136.

" نفهم من ذلك أنّ التضمين عند النحاة يدور حول جعل الشيء في باطن الشيء واشراب اللفظ في معنى اللفظ الآخر، سواءً كان اسمًا أو فعلًا، أو حرفًا".[1]

[1] عيشة أبو الفتوح سيد أحمد الحداد، ظاهرة التضمين في النحو العربي وموقف النحاة منها، حولية كليّة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مصر، ج6، 2016، ص 943.

الفصـــــــــــل الأوّل

التضمين/ المفهوم والمقاصد.

- **المبحث الأول** : مفهوم التضمين (لغة واصطلاحًا).
- **المبحث الثاني:** مقاصد التضمين النحوية والبلاغية.
- **المبحث الثالث:** التضمين بين الحقيقة و المجاز.
- **المبحث الرابع:** قياسية التضمين وشروطه.
- **المبحث الخامس:** فوائد التضمين.

المبحث الأول: مفهوم التضمين (لغة واصطلاحًا)

لغة:

ورد التضمين في الكتب والمعاجم العربية القديمة بصيغ ومعان مختلفة منها: الكفيل، التغريم والإيداع.

جاء في كتاب "العين" للخليل أحمد الفراهيدي قوله:" ضمن: الضمن والضمان واحد والضمين الضامن وكل شيء أحرز فيه شيء فقد ضمنه".[1]

وكذلك قال الفيروز أبادي:" ضمن الشيء وبه كعلم ضمانًا وضمنًا فهو ضامن وضمين كفله وضمنته الشيء تضمينًا. فتضمنته عنى: غرمته فالتزمه وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه".[2]

كما عرّفه الزمخشري في كتابه "أساس البلاغة" إذ قال:" ضمن، ضمن المال منه كفل له به وهو ضمينه وهم ضمناؤه وهو في ضمينه وضمانه وضمنته إياه ومن المجاز ضمن الوعاء الشيء وتضمنه وضمنته إياه وهو في ضمينه يقال: ضمن القبر الميت وضمن كتابه وفي مضمونه ومضامينه".[3]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، ط1، 2003م،دار الكتب العلمية، بيروت، ص26.

[2] الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مكتبة تعقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف مُحَّد نعيم العرقسوسي،ط8، 2005م، مؤسسة الرسالة، بيروت،ص1212.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، تح: مُحَّد باسل عيون السود، ط1، 1998م،دار الكتب العلمية، بيروت،ط587.

كما قال الجوهري:" ضمن ضمنت الشيء ضمانًا: كفلت به فأنا الضامن وضمين، وضمنته الشيء تضمينًا فتضمنه عنى، غرمته، وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنه إياه".[1]

كذلك من عرف "التضمين" قائلاً:" من فعل ضمن يضمن الشيء وبه: كفله، وضمّن الشيء، ألزمه".[2]

نستنتج من هذه التعريفات أن التضمين هو إشراب لفظ معنى لفظ أخر وإعطاؤه حكمه، وهو أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل أمّا ما في معناه فيعطي الأول حكم الثاني في التعدية واللزوم.

اصطلاحا:

عند النحويين:

أوّل من تطرق لتعريف التضمين من النحاة هو "ابن هاشم" بقوله: " قد يشيرون لفظًا معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمي ذلك تضمينًا".[3]

[1] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص685.

[2] إنعام فوال العكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط2، 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص374.

[3] ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ص762.

فالتضمين عند "ابن هشام" هو إعطاء لفظ معنى لفظ أخر وتكون الأحكام نفسها كأن يضمن الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي نحو قوله تعالى: {وما تفعلوا من خير فلن تكفروه} [آل عمران/ 115].

هنا ضمن معنى (تحرموه) فعدى إلى الاثنين لا إلى واحد فأعطى حكمه بمعنى أنّ الفعل (تكفروه) صادر متعديًا إلى مفعولين كما هو الشأن (تحرمون).

وكذلك قوله تعالى: {ولا تعزموا عقدة النكاح} [البقرة/ 235].

فضمن هنا معنى " تتوه" فعدى بنفسه لا بعلى.

كما ورد التضمين في كتاب "البرهان هي علوم القرآن" للزركشي حيث قال:" هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف، أمّا في الأسماء فهو أن يضمن اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا".[1]

كقوله تعالى: {حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحقّ} [الأعراف/ 105]. فضمّن حقيق معنى حريص ليفيد أنّه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

" وأما الأفعال فأن تضمن فعلاً معنى أخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعًا". [2]

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي فضل الدمياطي، ج1، 2006م، دار الحديث، ص835.
[2] المرجع نفسه ، ص835.

وقال أحمد حسن حامد في تعريف التضمين:" هو إيداع شيء شيئًا أخر سواء أكان هذا الإيداع حقيقيًا أو مجازًا".[1]

التضمين عند البلاغيين:

يعرّف "محمد أحد قاسم " التضمين في كتابه علوم البلاغة بقوله:" أنّ يضمن الشاعر شعره بيتا من شعر الغير مع التصريح بذلك إن لم يكن البيت المقتبس معروفًا للبلغاء".[2]

كما عرّفه عند البلاغين في قوله:" أن يضمّن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء".[3]

وقد ذكر "السيوطي" في كتابه "الأشباه والنظائر" في النحو أنّ "الزمخشري" عرّف التضمين بقوله:" من شأنهم أنّ يضمنوا الفعل معنى فعل أخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التضمين قال: والغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى". [4]

ويضرب لهذا أمثلة منها قوله:" ألا ترى كيف رجع معنى". {ولا تعد عيناك عنهم} [الكهف/ 28]. إلى قوله ولا تقتحمهم عيناك متجاوزين إلى غيرهم.

---

[1] أحمد حامد، التضمين في العربية، ص40.

[2] مُحَمَّد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع و البيان، ط1، 2003م، المكتبة، العصرية، لبنان، ص133.

[3] المرجع نفسه ، ص113.

[4] السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: إبراهيم مُحَمَّد، دط، 911هـ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص133.

ويقول عزّ وجلّ: {ولا تأكلوا أموالكم} [النساء/ 02]، أي ولتضموها إليها أكلين.

أراء المحدثين في التضمين:

بدأ التضمين في نظر بعض المحدثين وكأنّه مشكلة تعاني منها اللغة العربية، ولما كان في نظهرهم مشكلة لم يكن من إيجاد حل لها انقسام المحدثون إلى قسمين:

- القسم الأول: لم يعارض هذا المصطلح ويرى أنّه واقع في اللغة وأنّ له هدفًا وغرضًا.
- القسم الثاني: أنكرو وقوع التضمين في اللغة إذ ليس له أي جدوى واضحة.

والقسم الأول هم الذين ساهموا في تحديد مفهومه وبيان وظيفته في اللغة والبلاغة وقال: "عباس حسن" في كتابه "النحو الوافي":" يشربون لفظًا معنى لفظ وهذا ظاهر في تعابير المعنيين فلا يشمل".[1]

مثل: قد أحسن بي، أي لطف فإنّ اللطف والاستحسان واحد.

وكذلك في قول "احمد حسن حامد":" والتضمين شروط منها وجود مناسبة بين الفعلين كثرة وروده في الكلام المنثور والمنظوم يدل على أنّه أصبح من المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية".[2]

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ط3، 1975م، دار المعارف، مصر، 567.

[2] أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ط1، 2001م دار العربية للعلوم، ص84.

أكثر من قال بالتضمين "الشيخ حسين" وإلى الذي دعا إلى فتح باب التضمين أمام الباحثين في بحثه الذي قدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فيقول:" والتضمين مبحث ذو شأن في العربية وللعلماء في تخريجه طرق مختلفة".[1]

كما يعد "محمد نديم فاضل" من أكثر المتحمسين لأسلوب التضمين إذ يقول:" والتضمين من أنزه الفصول في العربية، فإذا تأملته عرفت منه وبه ما لحروف المعاني من أسرار يكشفها لك ويظهر فيها مزية ... تري الحروف مع الفعل أو مشتق لم يألفه فيوحشك الحروف فإذا حملته على التضمين تمكن الفعل وأنسك الحروف".[2]

وذكر" أحمد حسن حامد": أن البحث في التضمين أخذ مأخذًا رسميًا لأنّه عرض بالقاهرة على المجمع اللغوي واتخذ في شأنه القرار التالي:" أن يؤدى فعل أوفى معناه في التعبير مؤدى فعل أخر أو ما في معناه فيعطى حكمه في التعدي واللزوم".[3]

من خلال هذه الأقوال نستنتج أن للتضمين هدفًا وغرضًا ولم يأتي هكذا وأنّه يساعد اللغة على تقدمها وتطورها.

أمّا القسم الثاني: والطائفة المعارضة لوجود التضمين، وذلك من خلال إظهار رأى عدد من الباحثين المحدثين منهم "عبد الله العلايلي" أن التعدي واللزوم ظاهرة من ظواهر قلق العربية

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ص 209.

[2] مُحَمَّد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ص 10.

[3] أحمد حسن حامد، التضمين في اللغة العربية،ص85.

وعدم استقرارها فيقول:" لما غمض عند علماء العربية وجه تعديه بعض الألفاظ ولزومها احتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملحظ مع يبدو من الاختلاف وكذلك انتهى بهم الاجهاد العقلي والتفكير الطويل إلى ما دعوه بالتضمين النحوي، وهو بدون شك شك افتراض قدرة النحوي ليعلل هذه الظاهرة الغامضة ودائما كان الافتراض سنة الشرح والتفسير".[1]

أمّا الدكتور "محمد حسن عواد" فيقول في كتابه" تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم":

" ويبدوا لي أنّ مسألة التضمين لا أساس لها لأنّه لا دليل عليها ولا حجة لأصحابها وما يندرج تحتها شواهد يؤول على جهة من جهتين، إمّا أن تكون الشواهد مقدمة في باب التضمين إقحامًا، وإمّا أن تندرج تحت مبحث دلالات الألفاظ".[2]

"وكذلك عباس حسن":" الذي لم يقتنع بأدلة المؤيدين للتضمين الذي انتقل إلى العلماء المحدثين بصورة قوية على ما كان بين العلماء القدماء ويظهر ذلك في أنّه يري أنّ اللفظ اللازم والمتعدي إذا ورد مسموعًا بإحدى هاتين الحالتين في كلام قليل، ولكنّه صحيح كان وروده أصلاً في الحقيقة اللغوية ولا يخرجه على أنّه معنى حقيقي كثرة وروده في آخر مسموع يشبع فيه معنى مغاير".[3]

[1] عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب،2003م، المطبعة المصرية، ص244.

[2] مُحَمَّد حسن عواد، تناوب حروف الجر في القرآن الكريم، ط1، 1982م، دار الفرقان، ص58.

[3] أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ص89.

المبحث الثاني: مقاصد التضمين

أ-البلاغية:

التضمين هو التوسع في استعمال لفظ يجعله يؤدي معنى لفظ أخر فيعطي الأول حكم الثاني، كما عرّف بأنّه لفظ يحمل استعارة أو مجازًا مرسلًا. فهو يعطي للغة فرصة للخروج إلى معنى أوسع تعبيرًا عن المعاني الكثيرة الكامنة في الذهن.

"لذلك نرى أنّ المجاز قد كثر استخدامه في القرآن الكريم وقد اتفق العلماء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة".[1]

وتحدث "العز بن عبد السلام" عن المجاز في كتابه: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز وقسمه إلى قسمين:

المجاز في التركيب: ويسمى مجاز الإسناد أو المجاز العقلي وعلاقته الملابسة، وذلك بأن يسند الفعل إلى غير ما هو له أصالة لملابسته".[2]

كقوله تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا} [المؤمنون/ 21].

[1] أمير حسن علي عبد الرحمان، التضمين ومقاصده النحوية والبلاغية في القرآن الكريم، مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين، ج11، 2018م، ص12.

[2] العزبن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تح: مُحَمَّد مصطفى بن الحاج، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1992م، ص18.

فقد نسبت الزيادة وهي فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سببًا لها.

وفي قوله تعالى: {يذبح أبناءهم} [القصص/ 04]، فقد نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون.

ومنه قوله تعالى: {فإذا عزم الأمر} [محمد /21]، عزم عليه بدليل إذا عزمت.

المجاز في المفرد ويسمي المجاز اللغوي وهو استعمال اللفظ لغير ما وضع له أنواعه كالتالية.

الحذف: وهو نوع من أنواع الإيجاز الذي يعتبر مبحثًا مهمًا من مباحث البلاغة، وهو الكلام القليل، وإذا كان بعض من الكلام أطول، فهو إيجاز الحذف وإن كان كلامًا يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر.

قال بعضهم القصر هو:" تكثير المعنى بقليل من اللفظ ويدل على التمكن في الفصاحة".[1]

إطلاق اسم الجزء على الكل، وذلك مثل قوله تعالى: {ويبقى وجه ربّك} [الرحمان/27]، أي ذاته تعالى.

ومنه قوله تعالى: {فولوا وجوهكم شطره} [البقرة/144]، أي وتوا ذواتكم.

إطلاق اسم الكل على الجزء: ومنه قوله تعالى: {يجعلون أصابعهم في أذانهم} [البقرة/19].

[1] المرجع السابق ، ص 18.

ومنه قوله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه} [البقرة/ 158]، أي أطلق الشهر وهو اسم لثلاثين ليلة، وأريد جزء منه.

ومن وجود الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم قوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب} [البقرة/179].

"وذلك أن الله تعالى أراد أن يعظم من القصاص شأن في بيئة تستهين بالأنفس وتبنى أمجادها وفخرها على كثرة ما تسحق من الأرواح والقصاص، يمنع من الإقدام على القتل فهو سبب من أسباب الحياة".[1]

ب-النحوية:

من خلال تعريف التضمين اتضح أنّه من الموضوعات المهمة التي يتم فيها فهم معاني القرآن، واستيعاب مقاصده ومعرفة دقائق أسراره وبلاغته وبراعة نظمه.

لذلك فإنّ:" حروف المعاني مبحث مهم يتوقف عليه إبراز المقاصد والأغراض النحوية والدلالية في الجمل والتركيب، وفيها تكمن أسرار النظم".[2]

[1] أمير حسن على عبد الرحمن، التضمين ومقاصده النحوية والبلاغية في القرآن الكريم، ص13.
[2] المرجع نفسه، ص 07.

ونرى أنّ:" مجال التضمين هو حروف المعاني وغرضه هو استجلاء أسرار حروف في الذكر الحكيم، بها نقف على المعاني الثانية للقرآن الكريم كشفًا لإعجاز النظم وبراعة التصوير، فكانت حروف المعاني مكمن مقاصد التضمين وأغراضه النحوية ". [1]

يقول الخطابي:" فإذا قلت سمعت منه كلامًا أردت سماعه من فيه، وإذا قلت: سمعت عنه علمًا كان ذلك عن البلاغ، وإذا تعدى ب(إلى) أفاد حسن الإصغاء لما في(إلى) من معاني التوجيه إلى الشيء والقصد إليه".[2]

كما في قوله تعالى: {لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب} [الصفات/08].

قال الزمخشري:" فإنّ قلت:" أي فرق بين سمعت فلانًا يتحدث وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه وإلى حديثة قلت: المعدي بنفسه يفيد الإدراك والمعدي ب (إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك ويتعدى بلام فيكسبه من معنى الاختصاص فيها إيثار المسموع واختصاصه بالقبول والتسليم".[3]

كما في قوله تعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون} [الأعراف/ 204].

أي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه، وجاء معدي بالباء في قوله تعالى: {نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحرًا}

[1] المرجع السابق، ص 07.

[2] الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: مُحَمَّد خلق الله، ط3، 1976م، دار المعارف، مصر، ص 39.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج3، 1407هـ، دار المعرفة، بيروت، ص 203.

[الإسراء/ 47].

" فكشفت الباء بما فيها من معنى المصاحبة عن دخائل نفوس الشركين وما صحب حالة الاستماع من مكر واستخفاف فهم يتظاهرون بالاستمتاع، لكنهم بتدبير ما يرمون به الرسول ﷺ".[1]

وكذلك أبو حيان لم يقل:" يتسمعونه ولا يسمعونك لما كان الغرض ليس الإخبار عن الاستمتاع فحسب وكأنّه مضمن أنّ الاستماع كان عن طريق الضمير بأن يقولوا مجنون أو مسحور جاء الاستماع ب (الباء) وإلى ليعلم أنّ الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا القصد".[2]

كذلك الفعل (رغب) يتعدى ب (إلى) و(في) و (عن) و(الباء) و (مع) كل حرف يتعدى به تتعدد له الدلالة غير دلالته مع الحرف الأخر يقول الراغب:" أصل الرغبة السعة في الشيء يقال: رغب الشيء اتسع وحوض رغيب فلان رغيب الجون، وفرس رغيب العدو والرغبة والرعب السعة في الإرادة".[3]

قال الله تعالى: {إنّا إلى الله راغبون} [القلم/ 32]، وإن قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه قوله تعالى: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم} [البقرة/ 103].

[1] المرجع السابق ، ص 139.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، تح: مُحَمَّد صدقي جميل، ج3، ط1، 1993م، دار الفكر، بيروت، ص43.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب الفرآن، تح: صفوان عدنان الدوادي، ط1، 1412هـ، ص198.

المبحث الثالث: التضمين بين الحقيقة والمجاز

اختلفت الآراء حول قضية التضمين، هل هو حقيقة أم مجاز؟ فعباس حسن يقول:" إن التضمين مبحث ذو شأن في اللغة العربية وللعلماء في تخريجه طرق مختلفة، قال بعضهم إنّه حقيقة وقال بعضهم إنّه مجاز، وقال آخرون إنّه كناية وقال بعضهم إنّه جمع بن الحقيقة والمجاز على طريقة الأصوليين لأن العلاقة عندهم لا يشترط فيها أن تمنع من إرادة المعنى الأصلي".[1]

كما قال البقاء الكفوي في كتابه الكليات:" التضمين هو أن يستعمل اللفظ في معناه الأصلي وهو المقصود أصالة لكن قصد تبعيته معنى أخر بمناسبة من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ أو يقدر له لفظ أخر، فلا يكون التضمين من باب الكناية ولا من باب الإضمار من قبيل الحقيقة التي قصد بمعناه الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة"[2]

ويمكن القول إنّ التضمين هو وضع لفظ موقع غيره لتضمينه معناه وهو نوع من المجاز.

يقول الزركشي:" التضمين ايضًا مجاز لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معًا والجمع بينهما مجاز خاص يسمونه بالتضمين تفرقة بينه وبين المجاز المطلق".[3]

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ط5، د ت، دار المعارف، مصر، ص583.
[2] ابوا البقاء الكوفي، الكليات، ط2، 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص266.
[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص836.

كما نقل لنا السيوطي ما قاله الشيخ سعيد الدين في حاشية لكشاف:" الفعل المذكور إن كان مستعملًا في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الأخر وإن كان في معنى الفعل الأخر فلا دلالة على معناه الحقيقي، وإن كان فيهما جميعًا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز".[1]

وبين أحمد حسن حامد ما ذهب إله الزمخشري من أنّ:" اللفظ المذكور مستعمل في حقيقته لم يشرب معنى غيره".[2]

وقد فسروا هذا القول بأن "الزمخشري" لا يرى في التضمين مجازًا ولا جمعًا بين الحقيقة والمجاز. نجد أيضا طائفة ذهبت إلى القول بأن التضمين:" ضرب من المجاز المقابل للحقيقة أو هو يدخل تحت المجاز المرسل الذي تكون العلاقة فيه غير المشابهة". ونقل أحمد حسن أقول اللغويين في التضمين وهي: أنّه مجاز مرسل ودليله:" أنّ اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة".

أن فيه جمعًا بين الحقيقة والمجاوز: ودليله أن دلالة المذكور على معناه بنفسه وعلى معنى المحذوف بالقرينة أنّ الفعل الذكور مستعمل في حقيقته لكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب للقرينة اللفظية.

أمّا اللفظ المستعمل في معناه الأصلي فيكون هو المقصود أصالة لكن قصد تبعيته معنى آخر، فلا يكون من الكناية والإضمار وأن المعنيين مرادان على طريقة الكناية فيراد المعنى

[1] السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ص220.

[2] أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ص13.

الأصلي توصلًا على المقصود ولا حاجة إلى التقدير إلاّ لتصوير المعنى أنّ المعنين مرادان على طريق عموم المجاز".[1]

ونستنتج من كل هذه الأقوال أنّ دلالة اللفظ يحددها السياق الذي نظمت فيه أو المقام الذي ورد فيه حيث يتم استخدام الكلمة موقع كلمة أخرى وعلى هذه الكلمة أن تحمل المعنى ذاته وهذا ما يجعل السامع يفهم ذلك المعنى الجديد.

المبحث الرابع: قياسية التضمين وشروطه

اختلف بعض العلماء فيما بينهم حول قضية التضمين هل هي قياسية أم ليست كذلك، حيث نجد "محمد نديم فاضل" ذكر في كتابه التضمين في النحوي في القرآن الكريم قول أب البقاء عن بعض العلماء:" أنّ التضمين إيقاع لفظ موقع غيره لتضمينه معناه".[2]

ثمّ قال:" والأكثرون على أنّه قياسي وضابطه أن يكون الأول والثاني يجتمعان في المعنى".[3]

كذلك قول ابن جني:" وجدت في اللغة شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به ولعلّه لو جمع أكثره لجميعه لجاء كتابًا ضخمًا".[4]

[1] محمّد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن، ص98.
[2] المرجع نفسه ،ص 108.
[3] المرجع نفسه، ص نفسها
[4] ابن جني، الخصائص، ج2، ص310.

كما ذكر عباس حسن في كتابه النحو الوافي:" يعمل التضمين بنوع عام لوروده في كثير من الآيات القرآنية وفي الشعر القديم والمخضرم والإسلامي بشرط أن لا يقع في التضمين ليس في التعبير ولا إخلال في المعنى".[1]

وقد رأى أبو حيان الأندلسي:" أن من النحاة من قاس ذلك لكثرته".[2]

وهذا ما ذهب إليه تمام حسان حيث قال:" ولكن التضمين أسلوب عدولي شائع، ومألوف في الاستعمال وقد قربّه الشيوع من الاطراد فلم يعد ينظر إليه نوع النظرة إلى الرخصة لأنّه يقاس عليه ولا يقاس عليها".[3]

أما مجمع اللغة بالقاهرة فقد أقّر قياسية التضمين ولكن بثلاثة شروط وهي:

- الشرط الأوّل: تحقيق المناسبة بين الفعلين.
- الشرط الثاني: وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.
- الشرط الثالث: ملائمة التضمين للذوق العربي ويظهر من خلال ذلك أنّ قياسية التضمين من وجود قرائن تحقق الغرض بين الفعلين، وإن كان المجمع يوصي بذلك لغرض بلاغي.

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص589.

[2] أبو حيان الأندلسي، الكشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عتمان مُحَمَّد، ج2، ط1،1، 1998م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 2090.

[3] تمام حسن، البيان في روائع القرآن، ط1، 1993م، علم الكتب، القاهرة، ص247.

وقد تم شرح هذه من قبل المجتمع القاهري الذي يرى في الشرط الأول أنّه:" حاجز مانع من تحميل الفعل معنى بعيدًا عن معناه الوصفي، حيث تقضي تعديته بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى إلى فساد الكلام، ...فلا يجوز أكلت إلى الفاكهة على أن أكل مضمن معنى (مال).[1]

أمّا عند الشرط الثاني:" فإنّه الركن الأقوى في التضمين إذ لولا القرينة ما عرف أن الفعل توسع معناه وأشهر القرائن وأكثرها ورودًا حرف الجر الذي يتعدى به الفعل ولم يكن من حقه أن يتعدى به (اللام)الداخلية على(من) في قول المصلى:" سمع الله لمن حمده" بمعنى استجاب لذلك فتعدى ب (اللام).[2]

المبحث الخامس: فائدة التضمين

ذكر ابن هشام الأنصاري في كتابه" مغنى اللبيب أن فائدة التضمين هي:" أن تؤدى الكلمة مؤدى كلمتين"، أي يستعمل كلمة ويشير بها معنى كلمة أخرى فيكون المستعمل كلمة واحدة بمعني كلمتين.[3]

كما بين محمد نديم فاضل في كتابه التضمين النحوي في القرآن الكريم أن فائدة التضمين هي:" أن تؤدى الكلمة مؤدى كلمتين فالكلمتان مقصودتان معًا قصدًا وتبعًا فإذا استعمل

[1] الزعبلاوي صلاح الدين، ج1، 1980م، التضمين مجلة اللغة العربية، القاهرة، ص48.
[2] المرجع نفسه، ص48.
[3] ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب، ص762.

اللفظ في غير ما هو له فقد أضاف المعنى إلى أصله، وجاز به موضوعه إلى مواضع أخرى من دلالاته فيكون كل منصرف ينصرف إليه متصلًا بأصله".[1]

فمرة يكون المذكور أصلًا والمحذوف المقدّر فرعًا مثل قوله تعالى: {ولتكبوا الله على ما هداكم} [البقرة/ 185]، أي لتكبروا والله حامدين على ما هداكم.

ومرة يكون العكس، فالمحذوف المقدر أصل والمذكور فرع مثل قوله تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب} [البقرة/ 02]، أي الذين يعترفون مؤمنين بالغيب.

فمرة يكون أحدهما مجملًا و الأخر مبنيًا و موضحًا مثل قوله تعالى:{ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت} [البقرة/ 243]، فالرؤية مجملة و التأمل و الاعتبار تبين للمعنى و تأليف لصورته.

ومرة يكون المذكور خالصًا والمقدر عامًا مثل قوله تعالى: {عينًا يشرب بها عباد الله} [الإنسان/06]،"فالشرب خاص بحاسة الذوق".[2]

ومرة يكون المذكور مطلقًا والمقدّر مقيدًا مثل قوله تعالى: {ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون} [الأنبياء/52]، أي مقدسون فالعكوف مطلق والتقديس مقيّد.

[1] محمّد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ط1، 2005م، دار الزمان، المدينة المنورة، ص 108.
[2] المرجع نفسه ص 108.

ومرة يكون المذكور ملمحًا بالغرض والمقدّر مصرّحًا به مثل قوله تعالى: {والله يعلم المفسد من المصلح} [البقرة/ 220]، أي يميز ويكشف فصرح بالعلم ولمح بالكشف.

ومرة يكون المذكور وسيلة للغرض والمقدرة غاية مثل قوله تعالى: {عينًا يشرب بها المقربون} [المطففين/ 28].

فالشرب وسيلة لغاية الاستماع واللذة.[1]

مرة تكون العلاقة بين المضمن والمضمن فيه علاقة جزء من الكل مثل قوله تعالى: {بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه} [الأنعام/ 41]، فالدعاء عبارة عن تضرّع وتوسّل ورجاء وما تدعون إليه هو المرجو والمطلوب.

ومرة يكون المقدّر سببًا من أسباب المذكور مثل قوله تعالى: {وارزقوهم فيها وأكسوهم} [النساء/05].

"فتضمّن ارزقوا معنى اتجروا ممّا يجعل العلاقة بين المضمن والمضمن فيه سببية"[2]. أي التجارة سبب من أسباب الرزق.

[1] المرجع السابق ، ص108.

[2] المرجع نفسه، ص108.

ففي الأفعال غالبًا ما يحدث التضمين بأنّ:" تضمن فعلاً معنى فعل آخر ويكن الفعل فيه معنى فعلين جميعًا، وذلك بأنّ يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعديًا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إمّا إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح التعدي به".[1]

أما في الأسماء فهو أن " تضمّن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعًا كقوله تعالى: {حقيق علّي أن لا أقول على الله إلى الحق} [الأعراف/105]، ضمن حقيق معنى (حريص) ليفيد أنّه محقوق بقول الحق وحريص عليه".[2]

[1] الزركشي، البرهان في علوم الفرآن، ص835.

[2] المرجع نفسه، ص835.

الفصل الثاني

التضمين وأغراضه في تفسير المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي".

المبحث الأول: تعريف بابن عطية

المبحث الثاني: التضمين في الاسم.

المبحث الثالث: التضمين في الفعل.

المبحث الرابع: التضمين في الحرف.

المبحث الأول: التعريف بابن عطيّة

اسمه ونسبه:

هو عبد الحقّ ابن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن عطيّة بن خالد بن عطيّة المحاربي.[1]

مولده ونشأته:

اتفقت المصادر على أنّه ولد سنة أربع مائة وإحدى وثمانين، في مدينة غرناطة،[2] نشأ في بيت علم وفضل وكرم ونبل، وكان أجداده من العلماء المشهورين في زمانهم في مختلف العلوم والمعارف.[3]

مكانته العلمية:

لقد حظي الإمام ابن عطيّة بمكانة علمية راقية حسب تلاميذه وشيوخه، وقد كان لوالده الفضل الأكبر في نبوغه إذ اعتنى بتعليمه منذ الصغر، فهو واضع اللبنة الأولى في نشأته العلمية، إذ هيأ له جميع الأسباب وسبل المواصلة إلى العلم والمعرفة يقول الضبيّ:" كان

[1] ابن بشكوال، الصلة، تح: شريف أبي العلاء العدوى، ج1، ط1، 2008م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 31.

[2] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ج4، د ط 1993م، دار صادر، بيروت، ص195.

[3] ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، تح: إبراهيم الأبياري ط1، 1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة، در الكتاب اللبناني، بيروت، ص 265.

الفقيه أبو بكر غالب ربما أيقظ ابنه أبا محمد عبد الحقّ في الليلة مرتين، يقول له: قم يا بنيّ أكتب كذا، وكذا في موضع كذا من تفسيرك، له فيه نكت كثيرة". [1]

وتعددت كذلك العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية ابن عطيّة العلمية، منها أنّه تربّى في أسرة علمية كانت أكبر دافع لتحصيله للعلم، إضافة إلى النهضة العلمية التي شهدتها الأندلس التي أنشأت علماء، ومن العوامل التي دفعت بعجلة الحركة العلمية في الأندلس، الاستقرار السياسي في معظم أيام المرابطين، وكذا اهتمام أمراء الأندلس بالعلم، وتشجيعهم لطلبة العلم والعلماء، فأخذت جميع العلوم والمعارف التي كانت تدرس في الأندلس من قبل المرابطين طريقها في عصرهم. [2]

أقوال العلماء فيه:

قال ابن بشكوال:" كان واسع المعرفة قوي الأدب متفنّنًا في العلوم، أحد الناس عنه".[3]

أمّا ابن الزبير فقال:" كان فقيها جليلا، عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، نحويًا، ولغويًا، أديبًا، بارعًا وشاعرًا مفيدًا، ضابطًا سيًّا، فاضلًا من بيت علم وجلالة، غاية في توقّد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرّف".[1]

[1] الظبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1،1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص578.

[2] سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، 1998م، دار النهضة العربية، بيروت، ص261.

[3] ابن بشكول، الصلة، ص31.

قال الذهبي:" كان إماما في الفقه والتفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيًا فطنًا مدركًا، من أوعية العلم".[2]

قال ابن فرحون:" كان القاضي أبو محمد عبد الحق فقيهًا عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، مقيّدًا حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المرية، وكان غاية في الدهاء والذكاء والتهم بالعلم سرّي الهمّة في اقتناء الكتب ولمّا ولي توخّي الحقّ والعدل في الحكم وأعز الخطة".[3]

قال ابن خاقان:" نبعة روح العلاء، ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة، وواحد العصر والأصالة، وقارًا كمارس الهضب وأدب كما أطرد السلسل العذب، وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظنّ به إلى شريف الأغراض، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بعبابه، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهدًا، في تناول الكواكب قاعدًا، وما أتكل على أوائله، ولا سكن إلى راحات بكره وأصائله، أثاره في كل معرفة علم في رأسه نار، وطلوعه في آفاقها صبح أو منار".[4]

---

[1] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج2، ط1، 1965م، مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركائه، ص73.0

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ج19، ط11، 1996م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص587.

[3] ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مُحَمَّد الأحمدي، ج2، د ط، د ت، دار التراث، القاهرة، ص57.

[4] أبو نصر الفتح بن خفقان، قلائد القيعان ومحاسن الأعيان، تح: حسين خربوش، ط 1، 1989م، مكتبة المنارة، الأردن، ص 208.

وفاته:

توفي رحمة الله عليه في مدينة لورقة[1]، في الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس مائة وواحد وأربعين(541هـ). [2]

شيوخه وتلاميذه:

تلقى "ابن عطية" العلم من كبار مشايخ الأندلس، كما تتلمذ على يديه ثلة من العلماء.

أولاً شيوخه:

تتلمذ على يد علماء كانوا له قدرة أنارت طريق نجاحه وتفوقه ومنهم:

1-والده: أبو بكر غالب عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطيّة المحاربي الغرناطي، كان الحافظ العالم المتقن، كان حافظًا للحديث وطرقه وعلله، وكان من الشعراء المجددين، كرّر صحيح البخاري سبع مائة مرة، كفّ بصره آخر عمره، ولد سنة 441هـ وتوفي سنة 518هـ.[3]

[1] لورقة: هي إحدى مدن الأندلس بها حصن ومعقل محكم، أرضها زر لا يرويها إلاّ ما ركد عليها من الماء بها عنب، يكون العنقود منها خمسين رطلاً.

[2] أبو الحسن البياهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، 1983م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص109.

[3] الذهبي، العبر في خبر من غبر،تح: أبي هاجر مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، ج5، ط1،1985،1، م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 411.

2-أبو عبد الله: محمد بن الفرج مولى بن الطلاع، القرطبي المالكي، كان زعيم المفتين في وقته وشيخًا فاضلًا فصيحًا، ولد سنة 404هـ وتوفي 497هـ.[1]

3-الحافظ أبو علي الحسين: بن محمد بن سكر الصدفي، كان ذا دين وورع وصون، كثير الفوائد، غزير العلم، عنيا بالحديث والضبط وحفظ أسماء الرجال، قرأ عليه ابن عطيّة سنن الترمذي، وأخذ عنه التاريخ الكبير للبخاري إجازة، ولد سنة 452هـ وتوفي 514هـ.[2]

4-الحافظ الحسين: بن محمد أبو علي الغساني، له بصرفي اللغة والإعراب ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب، سمع منه ابن عطيّة ألفاظًا من اللغة، وأبياتًا من الشعر قيّدها عنه، قرأ عليه بعض الكتب كموطأ مالك، ومصنف أبي داود السجستاني، والملخص في مسند حديث موطأ الإمام مالك، وغيرهما، ولد سنة 427هـ وتوفي 496هـ.[3]

أبوا محمد: عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي، من أهل الصلاح والفضل، كان حافظا للقرآن الكريم، كثير التلاوة، عارفًا بروايته وطرقه، واقفًا على كثير من تفسيره، ومعرفة غريبه مع علم وافر من العربية والتفقّه في الدين، قرأ عليه ابن عطية الموطأ وأجاز له جميع ما رواه عن شيوخه المسلمين في فهرسته ولد سنة 433هـ وتوفي سنة 520هـ.[4]

[1] ابن بشكوال، الصلة، ص 203.
[2] المرجع نفسه، ص 171.
[3] المرجع نفسه، ص 168.
[4] المرجع نفسه، ص 360، 479.

ثانيا تلاميذه:

تتلمذ على يده العديد من العلماء:

1-أبو بكر: محمد بن خير الدين بن عمر بن خليفة المتوني الإشبيلي الإمام الحافظ، المجوّد المقرئ، تصدر لإقراء والإسماع، وكان محدّثًا، متقنًا، وأديبًا لغويّا، واسع المعرفة، بيعت كتبه بعد وفاته بأعلى الأثمان لصحّتها، ولد سنة 503هـ وتوفي سنة 575هـ.[1]

2-أبو القاسم: بن جيش الحافظ، كان من فرسان الحديث بالأندلس، ولم يكن أحد يجاريه فيه من أهل طبقته، وله براعة في العربية واللغة والأدب، كما كان له حظّ من الفصاحة والبلاغة والبيان، وله كتاب المغازي، ولد سنة 540هـ وتوفي سنة 584هـ.[2]

3-أبو محمد: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الفرس، شيخ المالكية بغرناطة في زمانه، كان له براعة في الفقه والأصول، ألّف كتابًا في أحكام القرآن ولد سنة524هـ وتوفي 597هـ.[3]

4-أبو جعفر بن مضاء: كان مقرئًا مجوّدًا محدثًا، مكثرًا، وكان أمهر زمانه في علم النحو، برع في علوم الحساب والهندسة والطب والكلام ولد سنة 513هـ وتوفي 592هـ[1]، وغيرهم.

[1] الذهبي، العرفي خبر من غبر، ص 69.
[2] المرجع نفسه، ج3، ص88.
[3] الذهبي، يسر أعلام النبلاء، ج21، ص 365.

المبحث الثاني: التضمين في الاسم

مفهوم الاسم:

لغة:

هو ما ذكره الجوهري، إذ قال:" أنّ في الاسم أربع لغات: اسم واسم بكسر الهمزة وضمها، وسم وسمّ بكسر السين وضمها".[2]

وقال ابن يعيش:" وقد ذكر فيه لغة خامسة، قالوا (سمى) بزنة هدى وعلى. وانشدوا:" والله أسماك سما مباركًا، ولا حجة في ذلك لاحتمال أن يكون على لغة من قال (سم) ونصبه لأنه مفعول ثان".[3]

اصطلاحا:

أمّا في اصطلاح النحويين فالاسم كل كلمة دلّت على معاني في نفسها غير مقترنة بزمان، فيجد "سيبويه" قد اكتفى بالمثال للاسم فقال:" الام هو رجل وفرس وحائط"[4]، وقد ذكر

---

[1] مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر قاسم مخلوف، شجرة النور الزّكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، 2003م، دار الكتب العلمية، ص 189.

[2] الجوهري، الصحاح، ج6، ص2383.

[3] ابن يعيش، الشرح المفصل، ج1، ص24.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1،ص12.

صاحب كتاب النحو الوافي:" أنّ الاسم هو كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس مثل: نحاس، بيت، وجمل أو شيء غير محسوب، يعرف بالفعل مثل: شجاعة، مروءة، شرف، نبل، هو في الحالتين لا يقترن بزمن".[1]

شواهد تضمين الاسم:

التضمين في الأسماء هو أن يضمن اسم معنى أخر ليفيد معنى الاسمين جميعًا ويظهر ذلك من خلال الشواهد القرآنية التالية:

قوله تعالى: {أجل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} [البقرة/187].

موقع الشاهد في هذه الآية الكريمة هو(الرفث) فتضمن معنى (الإفضاء)ولقد أشار إليه ابن عطيّة في تفسيره للمحرر الوجيز حيث قال:" لا يمكن القول رفثت إلى المرأة ولكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك".[2]

ويقول محمد الطاهر بن عاشور:" والرفث في الأساس أن حقيقته الكلام مع النساء في شؤون الالتذاذ بهن، ثمّ أطلق على الجماع كناية، وقيل هو حقيقة فيهما وهو الظاهر وتعديته ب(إلى) ليتعين المقصود وهو الإفضاء". [3]

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص36.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، ج1، ط1، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 91.

[3] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، 1984م، دار التونسية للنشر، ص182.

والرفت مصدر فعله الثلاثي (رفت) وهو لازم تضمن هنا معنى فعل أخر لازم يعدي بحرف جر وهو الفعل (أفضى) ويقال:" أفضى إلى زوجته أي أزال ما بينهما من الفضاء فالتصق بها".[1]

لقد أيد "الزمخشري" ابن عطية في قوله:" لما عدي الرفت ب (إلى) فهو معنى الإفضاء".[2]

قال تعالى: {لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم} [آل عمران/177]. هذه الآية نزلت للمنفقين وذلك بأنهم كانوا إذا خرج الرسول ﷺ للغزو وتخلوا عنه، وإذا جاء اعتذروا إليه.

وأشار ابن عطية أن موقع الشاهد في هذه الآية الكريمة(مفازة) قال:" مفازة على وزن مفعلة من فاز يفوز إذا نجا فهي تضمنت معنى منجاة".[3]

وافق الزمخشري ابن عطيّة في رأيه إذ قال:" مفازة تتضمن معنى منجاة وهي على وزن مفعلة من فاز وهي مكان موضوع للفوز تضمن معنى منجاة".[4]

وقوله تعالى: {حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلا الحقّ} [الأعراف/ 155]، بيّن ابن عطيّة أن موقع التضمين في هذه الآية الكريمة هو (حقيق) تضمن معنى (حريص) ونقل لنا قول

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص139.
[2] الزمخشري، الكشاف، تح: خليل مأمون شيخا، ج1، ط3، 2009م، دار المعرفة، ص320.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، 553.
[4] الزمخشري، الكشاف، ص 674.

"القاضي أبي محمد" الذي أشار إلى أن:(حقيق عليّ)، معناه جدير وخليق فهو تضمن معنى حريص فلذلك وصلت ب" على" وهو صفة للرسول ﷺ تم عنها الكلام".[1]

وعلى حيث أن خبرها مقدم و "أن لا أقول" ابتداء تقديم الخبر أما عباس حسن فقال في كتابه النحو الوافي:" حقيق يتضمن معنى حريص ليفيد أنّه محقوق بقول الحق و حريص عليه".[2]

وحقيق على وزن(فعيل) وهو" مشتق من حق بمعنى وجب وصح، ومنه حق الشيء يحق بالكسر حقًا أي وجب واستحقه أي استوجبه وتحقق عنده الخبر صح.[3]

ويقول "الزمخشري" في الكشاف:" حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فيه أربع قراءات مشهورة وهي:" حقيق عليّ ألا أقول وهي قراءة نافع، وحقيق ألا أقول قراءة عبد الله، وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي ".[4]

حيث وافق ابن عطيّة في رأيه.

قوله تعالى: {فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إلى من خير فقير} [القصص/24].

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص435.
[2] عباس حسن، النحو الوافي، ص569.
[3] الرازي، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، ط3، 2009م، مؤسسة الرسالة، سوريا، ص141.
[4] الزمخشري، الكشاف، ص438.

" فسّر ابن عطيّة هذه الآية الكريمة أن موسى عليه السلام تولّى إلى الظل وتعرض بسؤال ما يطعمه ولم يصرح بالسؤال وأشار المفسرين إلى أنّه طلب في هذا الكلام ما يأكله ".[1]

كما أنّ أبا حيان أشار إلى أن موقع التضمين في هذه الآية الكريمة " وفير تضمن معنى سائل أو طالب".[2]

ويقول الجوهري:" الأصل في فقير أنّه يتعدى ب (من)، وذلك أن الفقير خلوّ. فيقال:" رجل فقير من المال أي خال منه".[3]

امّا ابن منظور يقول: "قد يكون التضمين واقعًا في فقير بأن أشرب معنى محتاج".[4]

قوله تعالى: {أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين} [الرمز/ 22].

هذه الآية الكريمة نزلت على علي وحمزة وأبي لهب وابنه هما اللذان كانا من القاسية قلوبهم. وأشار ابن عطيّة إلى أنّ تقدير الكلام " أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب المعرض عن أمر الله".[5] أي المعرض عن الإسلام.

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، ص284.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ص109.
[3] الجوهري، الصحاح، ص633.
[4] ابن منظور، لسان العرب، ص206.
[5] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص527.

فمن هنا القاسية معنى المعروضة، كما نقل أبو حيان قول الملك بن دينار" ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلم". و(أولئك) أي: القاسية قلوبهم في ضلال مبين أي حيرة واضحة لا تخفى على تأملها".[1]

واسم الفاعل (القاسي) من الفعل (قسا) يعدى ب (من)و(عن) وهو لازم فإن قلنا الفرق بين (عن) و (من) في هذا الموضوع؟

فالجواب نجده عند الزمخشري:" إذا قلت قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من اجل الذكر وسببه وإذا قلت ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه".[2]

وفي هذا القول يقول ابن عاشور:" من ذكر الله" يجوز أن تكون بمعنى (عن) بتضمين القاسية معنى المعروضة والنافرة".[3]

قوله تعالى: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفا بعهدكم وإيّا فارهبون} [البقرة/40]. بين ابن عطيّة أنّ موقع التضمين في هذه الآية الكريمة هو حرف النداء (يا) الذي تضمن معنى التنبيه وأشار إلى قول الذي قال:" والعامل في المنادى فعل

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 405.

[2] الزمخشري، الكشاف، ص268.

[3] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص05.

مضمر كأنّه يقول أريد"[1]. أمّا أبو حيان ففسّر استخدام النداء (يا) بأنّه" يتضمن معنى التنبيه من أجل أن يسمعوا ما يريد أن يقول لهم من أوامر ونواه".[2]

يمكننا القول إن أبا حيان أيّد رأي ابن عطيّة الذي قال إن حرف النداء (يا) يتضمن معنى التنبيه أمّا "الزمخشري" فلم يشر إلى ذلك.

قوله تعالى: {وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء} [البقرة/ 30]، أشار ابن عطية في تفسير هذه الآية الكريمة إلى أن " (جاعل) على وزن فاعل، فهو تضمن معنى خالق كما نقل لنا قول الطبري الذي قال:" ويقضى بذلك تعديّا إلى مفعول واحد"[3]، فهو نفس التفسير الذي اتجه إليه أبو حيان.

قوله تعالى: {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم} [النساء/02]،

"أشار الزمخشري في تفسيره هذه الآية إلى أنّ قوله تعالى لا تأكلونها بمعنى لا تضموها إلى أموالكم ".[4]

قوله تعالى: {فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحق من ربهم، وأمّا الذين كفروا فيقلون ماذا أراد الله بهذا مثلاً} [البقرة/ 26].

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص133.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ص328.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص116.
[4] الزمخشري، الكشاف، ص12.

يقول ابن الأنباري:" إنّ الهمزة في نظرهم هي أصل حرف الاستفهام قال:" أمّا (أين) و(كيف) فإمّا بنيتا على الفتح لأنهما تضمنتا معنى حرف الاستفهام، لأن أين سؤال عن المكان وكيف سؤال عن الحال فلما تضمنتا معنى حرف استفهام وجب أن بنيتا".[1]

وفي الآية" ماذا أراد الله"، أشار أبو حيان إلى أن الكلام قد تقدّم على أقسام ماذا وهي تحمل وجهين:" أحدهما أن تكون (ما) في موضع رفع بالابتداء و (ذا) بمعنى الذي خبر عن (ما) و[أراد] صلة لهذا الموصولة والعائد المحذوف إذ فيه شروط جواز الحذف وتقدير ما الذي أراده الله أمّا الثاني، أن تكون ماذا كما الاستفهام وتركيب (ذا) مع (ما) وتكون مفعولًا (بأراد) الشيء أي أراده".[2]

كما قال "ابن عطية":" أن النحويون اختلفوا في (ماذا) فقيل:" هي منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء أراده الله، وقيل (ما) اسم و(ذا) اسم بمعنى الذي، ما في موضع رفع الابتلاء و (ذا) خبره".[3] ومعنى كلامهم الإنكار بلفظ الاستفهام.

أمّا "الزمخشري" فهو أيضا بين أن (ماذا) فيها وجهان:" أن يكون ذا اسمًا موصولًا بمعنى الذي فيكون كلمتين وأن يكون (ذا) مركبة مع (ما) أصبحتا اسمًا واحدًا فيكون كلمة واحدة فهو على وجه الأول مرفوع محمل على الابتداء وخبره(ذا) مع صلته، وعلى الثاني منصوب

[1] ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، ط1، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص65.
[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص269.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص112.

في حكم ما وحده"[1]، وكذلك اتجه "محمد الطاهر بن عاشور" إلى القول إنّ:" أصل(ماذا) كلمة مركبة من (ما) الاستفهامية و(ذا) إشارة ولذلك كان أصلها أن يسأل بها عن شيء مشار إليه كقول قائل ماذا مشيرًا إلى شيء حاضر بمنزلة قوله ماذا غير أن العرب توسعوا فيه فاستعملوه اسم مركبًا من كلمتين".[2]

قوله تعالى: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} [البقرة/ 133]، ذهب ابن عطية إلى القول إن(أم) في هذه الآية الكريمة تكون بمعنى ألف استفهام في صدر كلام اللغة اليمانية، كما نقل لنا قول الطبري وهو أن(أم) يستفهم بما في وسط الكلام وأشار إلى أنّها:" تتضمن معنى بل أي بمعنى بل أي بمعنى بل شهد أسلافهم يعقوب وعلمتهم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جددًا ونسبتموهم إلى غير الحنفية عنادًا".[3]

كما أشار أبو حيان على أن(أم) هنا منقطعة تتضمن معنى(بل) وهمزة الاستفهام الدالة على الانكار والتقدير"[4]، أمّا الزمخشري" فقد أيّد ابن عطية وأبا حيان في رأيهما، فهو أيضًا أشار إلى أنّ (أم) تتضمن معنى (بل)".[5]

[1] الزمخشري، الكشاف، ص 243.
[2] محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص364.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص213.
[4] أبو حيان، البحر المحيط، ص572.
[5] الزمخشري، الكشاف، ص331.

ومن خلال هذه التفاسير يمكن القول إنّ استخدام (بل) في مكان (أم) لا يؤدي إلى تغيير معنى الآية فكلاهما يحملان نفس الدلالة.

قوله تعالى: {إنّ هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله لهو العزيز الحكيم} [آل عمران/62]، بيّن ابن عطية أن موضع التضمين في هذه الآية الكريمة هو القصص، فهو يتضمن معنى الإخبار حيث قال :" قص يقص قصصًا و قصًا إذ تتبع الأمر يخبره به شيئًا بعد شيء وقال قوم هو مأخوذة من قص الأثر"[1]، و يبدوا من كلام ابن عطية أنّ القصص يعني به تتبع أمر ما و الإخبار عنه، ونفس ما ذهب إليه "أبو حيان" إذ قال يصح أن يكون تقدير الكلام :" إن الخبر الحق أنّه ما من إله إلاّ الله"[2]، بحث ضمن "أبو حيان" القصص بمعنى الخبر فلم يؤدّ ذلك إلى تغير في المعنى.

قوله تعالى: {وهو الله في السماوات وفي الأرض} [الأنعام/ 03]، يقول أبوا البقاء الكوفي:" لا يجوز تعلّق الجار والمجرور بلفظة (الله) لكونه اسمًا لا صفة بل هو متعلق بالمعنى الوصفي الذي ضمنه اسم الله تعالى (معبود) كما في قولك هو حاتم بن طيء أي جواد".[3]

ذهب أبو حيان إلى القول إنّ:" في السماوات متعلق في لفظ الله لما تضمنه من معان ولا تعمل تلك المعاني جميعها في اللفظ، لأنّه لو صرح بها جميعها لم تعمل فيه بل العمل من

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ص448.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ص193.
[3] أبو البقاء الكوفي، الكليات، ص266.

حيث اللفظ واحد منها وإن كان في السماوات متعلقًا بها جميعها من حيث المعنى بل الأولى أن يعمل في المجرور ما تضمنه لفظ الله من معنى الألوهية، إن كان لفظ الله علمًا لأنّ الظرف والمجرور قد يعمل فيهما الغلم بما تضمنه من المعنى كما قال:" أنا لأبو المنهال بعض الأحيان فبعض هنا منصوب بما تضمنه أبو المنهال كانّه قال: أنا مشهور بعض الأحيان"[1]. كما أشار "الزمخشري" إلى أنّ" في السماوات متعلق بمعنى اسم الله كأنّه قيل:" وهو المعبود فينا ومنه"[2]، قوله: {وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله} [الزخرف/84] أو هو المعروف بالألوهية أو المتوحد بالألوهية فيها.

فصرّح ابن عطية بالقول:" ليس على حد قولنا زيد في الدار بل هو على وجه من تأويل آخر قالت فرقة ذلك على تقدير الصفة محذوفة من اللفظ ثابتة في المعنى كأنّه قال:" وهو الله المعبودى السماوات وفي الأرض أي تضمن معنى المعبود".[3]

ويظهر من خلال هذه التفاسير أنّ "ابن عطية وأبا حيان والزمخشري" لهم نفس رأي قوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده} [الشورى/25]. موقع الشاهد في الآية الكريمة هو التوبة وتتضمن معنى العفو والصفح، وأشار ابن عطية إلى أنّ حقيقة التوبة" تتضمن معنى الإقلاع عن المعاصي والإقبال والرجوع إلى الطاعات ويلزمها الندم على ما فات، والعزم على ملازمة الخيرات ونقل لنا قول سري السقطي:" والتوبة عي العزم على ترك الذنوب

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ص78.
[2] الزمخشري، الكشاف، ص327.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، ص267.

والإقبال بالقلب إلى علام الغيوب"[1]، كما قال أبو حيان:" إنّ التوبة تتضمن معنى العفو عن السيئات ويزيل الرجوع إلى المعاصي".[2]

ويظهر من كاتمه انّ الله تعالى يقبل التوبة ويغفر الذنوب.

كما أشار الزمخشري إلى القول:" السيئات إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر".[3]

ويبدو من كلام الزمخشري أنّ الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب وفي حديث الزمخشري أنّ الكبائر التي قام بها الإنسان لا يعفى عنها إلاّ بالتوبة.

قوله تعالى: {أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي، الله على ما نقول وكيل} [القصص/28].

ذهب ابن عطية إلى القول إن موضع الشاهد في هذه الآية الكريمة هو:" وكيل فهو يتضمن معنى الشاهد والقائم بالأمر"[4]. وهو نفس ما ذكره الزمخشري حيث قال:" الوكيل هو الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي ب(على)".[5]

"أمّا بالنسبة لأبي حيان فهو أيضًا اعتبر الوكيل متضمنًا معنى الشاهد، كما أنّه عدى ب على".[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص35.

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص495.

[3] ينظر: الزمخشري، ج5، ص408.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص285.

[5] الزمخشري، الكشاف، ص174.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ص 116.

ويبدو أنّ "ابن عطية وأبا حيان والزمخشري" لهم نفس الرأي حول تضمين الوكيل معنى الشاهد.

قوله تعالى: {هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والمهدي معكوفًا} [الفتح/25].

موضع الشاهد في هذه الآية الكريمة هو (معكوفا) فهو يتضمن معنى محبوسًا على وزن مفعولًا وهذا ما أشار إليه ابن عطية بقوله:" عكف الرجل عن حاجته إذا حبسته"[1] ومعكوفًا حل منصوب وهو نفس ما ذهب إليه الزمخشري بتضمينه معكوفًا حال منصوب وهو نفس ما ذهب إليه الزمخشري بتضمينه معكوفًا معنى محبوسًا حيث قال: "محبوسًا أن يباع"[2]، أي بمعنى حبسه عن فعل شيء ما".

قال تعالى: {فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم} [محمد/ 21].

فإذا في هذه الآية الكريمة ظرف زمان تضمن معنى الشرط لأنّ جملة جواب الشرط مقترنة بالفاء فهو مبني.

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ص136.
[2] الزمخشري، الكشاف، ص 545.

يقول ابن عاشور:" إذا ظرف زمان المستقبل وهو الغالب فيها فيكون ما بعدها مقدرًا وجوده أي فإذا جد أمر القتال وجملة" فلو صدّقوا الله " دليل على جواب إذا لأن (إذا) هنا ضمنت معنى الشرط".[1]

واقتران جملة الجواب بالفاء بدلالة التضمين إذا معنى الشرط.

قوله تعالى: {ومطهرك من الذين كفروا} [آل عمران/ 55].

موضع الشاهد في هذه الآية الكريمة (مطهرك) وقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان غي علوم القرآن بأنّه "يتضمن معنى مميزك من الذين كفرو"[2] ونفس ما أشار اليه ابن عطية بقوله:" إنّ حقيقة التطهير إنمّا هي من الدنس ونحوه واستعمل ذلك في السب والدعاوى والآثام وخلطة الأشرار ومعاشرتهم تشبيها لذلك كلّهبالأدناس فظهر الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم القبيحة لهم".[3]

أمّا بالنسبة إلى الزمخشري وابي حيان فذهبا إلى القول إنّ:" التطهير من سوء جوارحهم وخبث صحبتهم وجعل الذين كفروا دنسا ونجسا فكان عن إخراجه منهم وتخليصه بالتطهير".[4]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص110.
[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص835.
[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص444.
[4] الزمخشري، الكشاف، 562.

ويبدو من كلامهما أنّ التخلص من الدنس والنجس لا يتم إلاّ بالتطهير.

المبحث الثالث: التضمين في الفعل

مفهوم الفعل:

لغة: عرّفه ابن منظور في كتابه لسان العرب:" بأنّه كناية عن كل عمل متعدّ: فعل، يفعل، فعلًا، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح وفعله به ولاسم الفعل والجمع الفعال".[1]

كما نجد لفظة فعل واردة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين} [الشعراء/ 19].

وكذلك جاء في القاموس المحيط:" الفعل بالكسر وحركة الإنسان أو كناية عن العمل مستعدّ بالفتح مصدر فعل كمنع وحياء الناقة، وفرج كل أنثى".[2]

اصطلاحا:يعتبر الفعل ركنًا أساسيًا في الجملة، حيث أولاه النحاة عناية كبيرة، جاء في أسرار العربية:" إن قيل لم سميّ الفعل فعلاً قيل: لأنّه يدل على الفعل الحقيقي، ألا ترى أنّك إذا قلت (ضرب) دلّ على نفس الضرب الذي هو الفعل في الحقيقة، فلما دلّ عليه سمي له لأنّهم يسمون الشيء بالشيء إذ كان منه سبب وهو كثير في كلامهم، فإن قيل فما حدّ الفعل قيل: حدّ الفعل كلّ لفظة دلّت على معنى تحتها مقترن بزمان محصّل وقيل ما أسند إلى

[1] ابن منظور، لسان العرب،(مادة)، 528.

[2] الفيروز زبادي، القاموس المحيط، ص31.

شيء، ولم يسند إليه شيء[1] ويقصد هنا أنّ كل لفظة حاملة لمعنى، مقترنة بزمن معين فهي فعل، يعرّفه الزمخشري في قوله:" الفعل هو ما دلّ على اقتران حدث بزمان، ومن خصائصه صحة دخول قد و حرفي الاستقبال والجوازم ولوحق المتّصل البارز من الضمائر وتاء التأنيث الساكنة نحو قولك:" قد فعل وقد يفعل، سيفعل، و سوف يفعل، ولم يفعل، وفعلت، ويفعلن، وافعلي فعلت".[2]

شواهد التضمين في الفعل:

الأصل في الفعل المتعدّي أن ينصب مفعولًا دون الحاجة إلى حرف جرّ غير أن النحويين فسّروا بعض المفاعيل وحكموا بناءً على معنى الفعل بأنها منصوبة بإسقاط حرف جر، كما في قوله تعالى: {قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم} [الأعراف/ 16].

يريد على صراطك وفي صراطك وحذف كما يفعل في الظروف[3] في انتصاب صراطك وجهان:

الأول: على الظرف، كقول ساعد بن جؤيه الهذلي:"

لدن بهزّ الكفّ يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب.[4]

[1] الزمخشري، أسرار البلاغة، ص28.

[2] ابن يعيش، شرح مفصل للزمخشري، ط11، د ت، دار الطباعة المنبرية، مصر، ص 02.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص380.

[4] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 36.

والشاهد في البيت قوله" عسل الطريق" حيث أسقط حرف الجرّ (في) فانتصب" الطريق".

أمّا الثاني: فانتصاب (طريقك) على أنّه مفعول به التقدير:" لألزمن أو لأملكن بقعودي صراطك المستقيم".[1]

ويمثل هذا الرأي أبو حيّان الذي قال:" وانتصب صراطك على إسقاط (على) ... والأولى أن يضمّن (لأقعدن) معنى ما يتعدى بنفسه، فينتصب (الصراط) على أنّه مفعول به[2]، والذي يبدو من كلام أبي حيان لأنه ضمّن فعلاً لازمًا معنى فعل متعد، وذلك حين حمل قوله:" لأقعدنّ (لألزمن)، وكذلك رأي ابن عطية أنّ تقدير الكلام في قوله تعالى: {واختار موسى قومه سبعين رجلًا...} [الأعراف/ 155]، تقديره اختار موسى قومه. فلما حذف الخافض تعدّى الفعل فنصب، وهذا كثير في كلام العرب. [3]وواضح أنّ هذا الرأي مبنيّ على المعنى الذي في (اختيار)، لأنّ الاختيار يكون بانتقاء شيء من عدة أشياء، أو بعض من كلّ.

ويقرر بعض النحاة أن الفعل إذ استعمل متعديًا بنفسه تارة وبحرف الجرّ تارة أخرى، ولم يكن أحد الاستعمالين مشهورًا، قيل فيه: متعدّ بوجهين، ولم يحكم بتقدير الحرف عند سقوطه، ولا بزيادته عند ثبوته، نحو شكرته، وشكرت له.[4]

[1] يظهر: مُحَمَّد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ج1، ص200.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ص276.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص459.

[4] ابن مالك، شرح التسهيل: تح: عبد الرحمان السيد ومُحَمَّد بدوي، المختون، ج2، د ط، 1274هـ، دار هجر، ج2، ص148.

على الرغم من عدم دقة المثال المتمثل به على هذا الرأي، حيث الشكر في "شكرته "للمخاطب، وفي "شكرت له" للفعل الذي قام به، إذ المعنى شكرت له صنيعه، أو فعله، وعلى هذا فالفعل (شكر) متعدّ بنفسه دون حرف جرّ في المثالين، على الرغم من هذا فإنّ هذا الرأي هو الأحسن، لأنّ فيه بعداً عن الحكم بالزيادة وعن تقدير جار محذوف، وقد خالف ابن عطية هذه الرؤية عند تفسير قوله تعالى: {ويهديك صراطًا مستقيمًا} [الفتح/ 02]. فذهب على هذه الآية" إلى صراط مستقيم" فحذف الجار وتعدّى الفعل، وقد تعدى بغير حرف جرّ[1]، لأنّ (الهدى) يصل بنفسه إلى مفعول ثان، وبحرف جرّ فهو فعل متردّد[2] وقد انشغل ابن عطية هنا بالجانب اللفظي لفعل الهداية، وأهمل الجانب الدلالي المعنوي الذي هو الأهم والأساس في الحكم على تعدّي الفعل أو لزومهن فقوله تعالى في الآية السابقة: (ويهديك صراطًا) يختلف في دلالته عن قوله تعالى:{ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} [يونس/25]، ففي الآية الأولى يعني أن العناية الإلهية في الهداية مستمرة إلى بلوغ المهدي الصراط، بينما الآية الثانية التي تعدّى فيها الفعل بحرف جرّ تتوقف العناية عند إرشاد المهدي إلى الطريق المؤدية إلى الصراط المستقيم، وهذا يعني أن (هدي) الأولى تتضمن معنى غير معنى الثانية فالآية الأولى بمعنى: يبلغك صراطًا، والآية الثانية بمعنى يرشدك

[1] ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ص 126.
[2] المرجع نفسه، ص369.

إلى صراط، وعلى هذا فالفعلان لا يتشابهان معنويًّا ، إنّما المسألة مبنية على التضمين، وهذا على أنّ التضمين قياسّي، وليس مقصورًا على السماع.[1]

وكذلك قوله تعالى: {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون} [البقرة/09]، الأصل في الفعل اخدع، أنّه يطلب مفعولاً واحدًا يتعدى إليه بنفسه، فيقال مثلا: خدع زيد عمرًا، إذ أظهر له خلاف ما يخفيه،[2] أمّا أن يكون الفعل (يخدعون) على معناه و(أنفسهم) تمييزًا أو متشبهًا بالمفعول به، أو منصوبًا بنزع الخافض، والتقدير: وما يخدعون إلّا في أنفسهم أو عن أنفسهم.[3]

وإمّا أن يكون الفعل يخدعون قد ضمن معنى الفعل (ينتقصون) أو(يستلون) سلامة من القول بصدور الحدث من ذات الشيء وحقيقته، وهما شيء واحد بالإضافة إلى ما في القول بالتضمين –هنا–من إفادة معنى النتيجة (الانتقاص) و (الاستلاب) مضافًا إلى معنى الوسيلة (الخداع) مضافًا هو أيضًا إلى السبب المقدم به الآيات المسبوقة في المنافقين وأبرز صفاتهم.[4]

[1] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ص565.
[2] ابن منظور، لسان العرب، (مادة خدع)، ص28.
[3] ابو حيان، البحر المحيط، ص85.
[4] الزمخشري، الكشاف، ص54.

وقوله تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} [النور/63]، قال أبو عبيدة:" يخالفون أمره، وعن زائدة"[1]، وقال الطبري:" وأدخلت (عن) لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عن معرضين".[2]

وقال الزمخشري:" الذين يخالفون عن أمره" الذين يصدون عن أمره ... والمعنى عن طاعته ودينه"[3]، وأوّل ابن عطية قوله تعالى: {يخالفون عن أمره}، بأن معناه يقع خلافهم بعد أمره، وهذا كما تقول: كان المطر عن ريح،[4] وقال أبو حيّان: " ضمن (خالف) معنى صدّ و(أعرض) فعدّاه ب (عن) "[5]، أمّا الدكتور فاضل السامرائي:" وللتضمين صدر أخرى، فقد يضمن فعل متعد معنى فعل لازم كقوله تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن زمره} [النور/63].

فإن (خالف) فعل متعدّ يقال خالفت أمره، ولا يقال: خالفت عن أمره،[6] ولكن ضمّن معنى الابتعاد والخروج والانحراف، كأنّه قال:" فليحذر الذين يبتعدون عن أمره، أو ينحرفون عن أمره".

[1] التيمي، مجاز القرآن، تح: احمد فريد المزيدي، ط1،2006م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص189.

3 الطبيري، جامع البيان، ج18، ط2 2006م، إحياء التراثالعربي، بيروت،ص211.

[3] الزمخشري، الكشاف، ص253.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص198.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، 578.

[6] فاضل السمرايئ، معاني النحو، ج3، ط1، 2000م، دار الفكر، الأردن، ص13.

تبيّن ممّا سبق ذكره أن النحاة والمفسرين من أجل القول بالتضمين في الآية المذكورة، ضمّنوا (يخالفون) معنى (يلوذون ويدبرون) كما قال الطبري، أو (يصدون) كما قال الزمخشري، أو (يبتعدون وينحدرون) كما قال السامرائي، ومن الجائز أيضًا تضمينه معنى (يرغبون)، ويكون التقدير: فليحذر الذين يرغبون عن أمره.

ونجد التضمين كذلك في الآية: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم} [البقرة/07].

جاء لفظ غشاوة في الآية الكريمة بحالات ثلاث، احدهن: حالة الرفع على أنه مبتدأ خبره (على أبصارهم)، وجملة المبتدأ وخبره ومستأنفة من بعد جملة الفعل وعمولاته وما عطف عليها.[1]

غير أنّ لفظ (غشاوة) إن جعل بمعنى فعله (غشّى) فإنّ التقدير على الاشتغال يكون ب: وعلى أبصارهم غشّى، وتكون جملة المعلوم المتقدّم وعامله المؤخر على مقابلة الجملة التي قبلها في المعنى: ختم الله على...وعلى... وعلى أبصارهم غشّى.[2]

فهو من قبيل عطف الجمل المتقابلة[1] والثانية: حالة النصب، وهي على تضمين الفعل (ختم) معنى الفعل(جعل) ويكون تقدير المعنى: "جعل الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

[1] ينظر: النحاس إعراب القرآن، تح: محمد تامر ومحمد رضوان، ومحمد عبد المنعم، ج1،د ط، 2007م، دار الحديث، القاهرة، ص280

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ص 85.

غشاوة".[2] ويكون تعلق الجار والمجرور (على أبصارهم) بنا يتعلق به ما قبله (على قلوبهم وعلى سمعهم) وهو الفعل (ختم) المتضمن معنى (جعل).

والثالثة: حالة الخفض: بتقدير خافض محذوف (بغشاوة) وفيه يكون الفعل على معناه وأشباه الجمل متعاطفة كلّها، و(بغشاوة) إجابة عن سؤال مقدّرة ب: بأي شيء ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم؟[3]

ويتبين في تقدير تضمين (ختم) معنى الفعل(جعل) من زيادة تأكيد وتثبيت لمعنى الختم، وصفًا لحال المعاندين المكذبين.

وفي قوله تعالى: {وزوجناهم بحور عين} [الدخان/45]، الأصل في الفعل (زوّج) أو(تزوّج) أنّه يتعدّى بنفسه، فلا يحتاج لواسطة (حرف) يتعدى به.[4]

فيقال:" زوجتك كريمة، أو تزوّج بنت فلان،[5] وقد جاء الفعل (زوّج) في الآية الكريمة متعدّيًا (بالباء) لا بنفسه لما ضمّن معنى الفعل (قرناهم) المتعدي بالباء، فالمعنى:(وقرناهم بحور عين).[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص85.

[2] النحاس، إعراب القرآن، ص28.

[3] العكبري، إعراب القرآت الشواذ، تح: مُحَمَّد عزوز، ج1، ط1، 1996م، عالم الكتب، بيروت، ص118.

[4] ينظر: ا لفراهيدي،الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، د ط، 2008م، دار الذكر، بيروت، ص315.

[5] ذلك أن الزواج نوع من التضمير والجعل: (جعل المفرد زوجًا) وكل من أقوال يجعد وأقول (جعلته تعبا)، ولا أقول (بتعب).

[6] ينظر: الجوهري، الصحاح (مادة روج)، ص295.

وقد ذكر ابن عطيّة أفعالًا تعدّت إلى مفعول واحد كما في قوله تعالى: {فمن عفي له من أخيه شيء...} [البقرة/178]، يرى ابن عطيّة في تفسيره للآية الكريمة أنّه قد ضمّن الفعل (عفي) بمعنى(ترك) وإن كان العافي عن الذنب تاركًا له.[1]

وشيء في هذه الآية الكريمة كما يرى ابن عطيّة مفعول لم يسمّ فاعله، وجاز ذلك... من حيث تقدرّه (عفي) بمعنى (ترك) فتعمل عملها.[2]

وأجاز في أفعال أخرى أن تتعدى إلى مفعول لتضمينها معنى ما يتعدّى إلى مفعول واحد، ثم هي نفسها في موضع آخر تتعدّى إلى مفعولين، لتضمنها معنى ما يتعدّى إلى مفعولين ل(جعل) التي رأى أنّها بمعنى (خلق)، في قوله: {هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها...} [الأنعام/ 97]. لدخولها على مفعول واحد.[3]

بينما يذهب في قوله تعالى: {الذي جعل لكم الأرض فراشًا ...} [البقرة/ 22]، إلى أن (جعل) بمعنى (صيّر)، ...لتعدّيهما إلى مفعولين.[4]

ويرى أنّه قد يضمّن بنفسه معنى ما يتعدّى بحرف جرّ فيسلك سبيله، كما في قضي الذي تعدّى ب (إلى)، لمّا كان (فرغ)، وفرغ يتعّدى ب (إلى)، ويتعدى باللام كما في قوله عزّ وجلّ :{ لقضي إليهم أجعلهم}[يونس/ 11]، ممّا يوحى أنّ أبن عطيّة يرى قياس التضمين

[1] أبو حيان، البحر الحيط، ص15.
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص 246.
[3] المرجع السابق، ص326.
[4] المرجع نفسه، ص105.

وأن (خلق) كذلك في قوله تعالى:" وخلق الإنسان ضعيفًا مفعولًا ثانيًا،[1] وعلى الرغم من إنكار بعض النحاة تضمين (خلق) معنى (جعل)[2]، و اعتبارهم إياه غريبًا لم يقل به نحوي[3]، فإنّه يمثل اتساع ابن عطيّة في جواز القياس في التضمين، ولا يقيس اعتباطًا، يشير به معنى الفعل الآخر الذي يضمنه معناه.

قال تعالى: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام} [المائدة/103]. حيث يرى ابن عطية أن (جعل) في هذه الآية الكريمة لا يتجه أن يكون بمعنى خلق الله، لأن الله تعالى (خلق) هذه الأشياء كلها، ولاهي بمعنى (صيّر) لعدم المفعول الثاني، وإنما عي بمعنى: (ما سنّ ولا شرع)، فتعدت تعدّي هذه التي بمعناه، إلى مفعول واحد.[4]

وقد اعترض أبو حيان على ابن عطية بحجة أنّ النحاة لم يذكروا في معاني(جعل) شرع، بل ذكروا أنّها تأتي بمعنى (خلق) وبمعنى (ألقى) وبمعنى(صيّر) وبمعنى الأخذ في الفعل، فتكون من أفعال المقاربة، وذكر بعظهم بمعنى سمى... والحمل على ما سمع أولى من إثبات معنى لم يثبت في لسان العرب،[5] وهذا لا يضعف من رأي ابن عطيّة ومذهبه في هذه المسألة لأن هناك بعض المعاجم،[6] ذكرت ل (جعل) أكثر من عشر معان، استلهمت من

[1] المرجع نفسه، ص41.

[2] أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج4، ط1، 1998م، مكتبة الخانجي، عمان، ص2106.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ص228.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ص247.

[5] أبو حيان، البحر المحيط، ص33.

[6] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جعل.

سياقاتها، كما وافق ابن عطية كثير من المعربين والمفسرين[1] وهذا يقوي جواز القياس في التضمين عندهم.

قال تعالى: {جعله دكّاء} [الكهف/ 98]، يعني السد الذي بناه ذو القرنيين، قال ابن عطيّة:(دكّاء) يحتمل ان يكون مفعولاً ثانيًا ل (جعل) ويحتمل أن يكون (جعل) بمعنى خلق، وينصب (دكّاء) على الحال،[2] وقال أبو حيان معقبا على رأي ابن عطية:" وهذا بعيدًا جدًا لأنّ السد إذ ذاك مخلوق وموجود، ولا يخلق المخلوق، لكنه ينتقل من هيئاته إلى هيئة أخرى".[3]

وهذا البعد يحصل لو كان (جعل) بمعنى خلق، بل الفرق بينهما أساسي، وجعل هو الفعل الوحيد من بين أفعال التحويل الذي يدل على معنى التصيير وهو يدل على هذا المعنى سواء تعدّى لواحد أم تعدّى لإثنين والجعل أعم من التصيير. هو التصيير أي يعني تحويل الشيء من حالة إلى أخرى، ويعني أيضاً جعل الشيء من الشيء.

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص649.
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج8، ص544.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص205.

قال الله تعالى: {يسألونك كأنّك حفيّ عنها قل إنّما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [الأعراف/187]، تقول العرب: فلان بأمر فلان إذ اعتنى به عناية بالغة، وتقول: حفي صار فلان حفيًّا إذا صار عالمًا مستقصيًا، وتقول فلان بي حفي إذا كان معنيّا.[1]

فمادة سأل هي التي تتعلق بها (عن) فلما أشربها لقط (حفيّ) تتعلق به ما يتعلق بها في العادة،[2] وقد جاء التعبير بها الدلالة على السؤال مضافة على الدلالة على المبالغة فيه وشدة العناية به، وذلك بعد التصريح بلفظ السؤال في (يسألونك عن)، (يسألونك كأنك).[3]

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص172.
[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص551.
[3] الزمخشري، الكشاف، ص173، 174.

المبحث الرابع: التضمين في الحرف

مفهوم الحرف:

أ-لغة: جاء في لسان العرب معنى الحرف في الأصل الطرف والجانب ولهذا سمي الحرف من حروف الهجاء.[1]

وكذلك كل كلمة بنيت لأداة عاربة في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفًا ... والحرف: الناقة الصلبة، تشبيه بحرف الجبل، والحروف حبّ كالخردل، والحب منه حرفة، والمحارفة، المقايسة بالمحراف.[2]

ب-اصطلاحًا:هو كلمة لا تدل على تدل على في معنى في نفسها، إنما تدرك على معنى في غيرها، بعد وضعها في جملة دلالة خالية من الزمن ولا يجوز أن يخبر عنه كالاسم، ولا يجوز أن يكون خبرًا ولا يتألف منه مع الحرف كلام ولا مع الفعل ولا مع الاسم أيضًا.[3]

مجاز الحروف:

يعدّ من أهم الموضوعات التي أولها العلماء القدامى والمحدثون عناية خاصة، ومن البلاغيين الذين وضعوا تعريفًا له الجرجاني الذي يقول:" هو كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والثالث، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت

[1] ا ينظر:بن منظور، لسان العرب، (مادة حرف).
[2] ينظر: الفراهيدي، العين،ج1، ص350.
[3] ينظر:عباس حامد، النحو الوافي، ص68.

له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعًا بملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها التي وضعت له في وضع واضعها فهي المجاز".[1]

وكذلك يعرفه اللّاذقي:" المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي".[2]

ومن مواضع المجاز مجاز الحروف ولقد مثّل به المحلّي بقوله تعالى: {فهل تري لهم من باقية} [الحاقة/ 08]، أي ما ترى.[3]

يكاد النحاة يجمعون على أنّ الحرف معناه في غيره لا في ذاته، ولهذا لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه كما يقول ابن يعيش.[4]

وكذلك الأصوليون: على أنّ الحرف بمفرده فارغ من المضمون ولا معنى له أصلاً إنّما وضع ليتم استعماله في جملة.[5]

[1] عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، بين التوحيد ووحدة المجاز، ط1، 2002م، دار الشروف، القاهرة، ص12.

[2] مُحَمَّد الطاهر اللاذقي، البسيط في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، د ط، 2005م، المكتبة العصرية، بيروت، ص159.

[3] ينظر: المغربي، شرح المحلي على جمع الجوامع، ط1، د ت، دار احياء الكتب العربية، مصر، ج1، ص 321.

[4] أرزقي شمون، مجاز الحروف بين لطائف النحاة ودقائق الفقهاء، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، ع 16، 2020م، برلين، ص130.

[5] المرجع نفسه، ص131.

لكن الرازي منع أن يكون المجاز في الحرف مطلقاً، [1]وفسّره المحلي قائلًا:" قال إن لا يكون فيه مجاز إفراد لا بالذات ولا بالتبع لأنّه لا يفيد إلاّ بضمّه إلى غيره، فإنّ ضمّ إلى ما ينبغي ضمه إليه فهو حقيقة أو إلى ما ينبغي ضمه إليه فمجاز تركيب".[2]

ومعنى هذا أن الإمام الرازي منع المجاز في الحرف مطلقًا إذ كان مفردًا، أي غير مضموم إلى كلمة بعده أمّا إذا ضمّ إلى كلمة بعده وكان ما بعده لا ينبغي ضمه إليه إلاّ بتأويله فجوزه وسماه مجاز تركيب، والمراد بقولهم (بالتبع) الاستعارة التبعية عند البيانيين.

وعقب اللبناني على قول المحلي بقوله:" ومنع الإمام المجاز في الحرف المطلق قائلاً:" أي منع مجاز الإفراد في الحرف مطلقًا لا بالذات كما يقول الأصوليون ولا بالتبع، فالمعنى في كلام الإمام مجاز الإفراد لا التركيب كما يدل عليه تعليمه".[3]

ولم يرض النقشواني على ما قاله الرازي من أن المجاز في الحرف نوعان مجاز إفراد، مجاز تركيب قائلاً:" من أين أنّه مجاز تركيب بل ذلك الضم قرينة مجاز الإفراد نحو قوله تعالى: {ولأصلبنّكم في جذوع النحل} [طه/71]، أي عليها.[4]

[1] ينظر: المعربي، شرح المحلي على جمع الجوامع، ج1، ص321.
[2] المرجع نفسه، ص 321.
[3] المرجع نفسه ، ص321.
[4] المرجع نفسه، ص321.

وعلّل ذلك اللبناني قائلاً:" لأنّ الحرف لا يسند ولا يسند إليه ومجاز التركيب إسناد الشيء إلى ما هو له".[1] كقولنا مثلاً أنبت الربيع البقل، والمنبت هو الله تعالى لا ربيع، فإسناده إلى الربيع مجاز.

لم يتفق الأصليون القائلون بمجاز الحروف مع ابن جني؛ إذ جعل المجاز في الأسماء كما تقدّم وجعله في الأفعال إذ يقول:" أعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال نحو قام زيد وقعد عمروا وانطلق بشر، وجاء الصيف، والهزم الشتاء".[2]

ولم يجعله في الحروف، فهو بهذا متّفق مع الأصوليين في أنّ المجاز يكون في الأسماء والأفعال إلاّ أنّه خالف من يقول بالمجاز في الحروف، حيث عدّا المعاني التي تكون للحروف حقيقية وليست مجازًا.

شواهد تضمين الحرف:

قال تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أين أشد عذابًا وأبقي} [طه/71]، أي جذوع النحل.[3]

وقال الهروي في باب دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض:" اعلم أنّ حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم، فمنها (في)، ولها ستة

[1] المرجع السابق، ص321.
[2] ابن جني، الخصائص، ص447.
[3] التيمي، مجاز القران، ص181.

موضع، تكون مكان (على)، نحو قوله تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل}،[1] وقال المرادي:" في: حرف جرّ، وله تسعة معان... الخامس أن تكون بمعنى على نحو قوله تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل}،[2] وكذلك قال ابن هشام:" في حرف جرّ له عشرة معان...الرابع: الاستعلاء نحو قوله تعالى: {ولأصلبنكم في جذوع النخل}.[3]

قال الزمخشري:" شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل: في جذوع النخل.[4]

أمّا ابن عطية فقال:" اتساع من حيث هو مربوط في الجذع، وليست على حد قولك: ركبت على الفرس".[5]

وقال أبو حيّان:" أراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل لهم، ولمّا كان الجذع مقّرا للمصلوب، واشتمل عليه اشتمال الظرف على الظروف عدّي الفعل ب (في) التي للوعاء، وقيل: (في) بمعنى (على)، وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله، فصار ظرفًا لهم، حتى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا".[6]

---

[1] الهروي، الأزهية في علوم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، د ط، 1971م، المكتبة الوقفية، دمشق، ص277.

[2] المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومُحَمَّد نديم فاضل، ط1، 2009م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص251.

[3] ابن هشام مغني اللبيب، ج1، ص168.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص74.

[5] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، 53.

[6] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص223.

نستنتج ممّا سبق حرف الجّر أنّ حرف الجر (في) في قوله تعالى: {ولأصلبنّكم في جذوع النخل}، جاءت على بابها تعبيرًا عن شدّة الغضب التي اعترت فرعون، وشدّة وعيده بسحرته الذين آمنوا بموسى عليه السلام، بأنّه، سيصلبهم في جذوع النخل، فهو أشدّ تنكيلًا، وأشفى لغليله.

وقال تعالى: {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق} [المائدة/06]. فقال: (إلى) بمعنى (مع)، وهذه عجمة، بل (إلى) في هذه الآية غاية مجرّدة، وينظر هل يدخل ما بعد (إلى) فيما قبلها من طريق آخر،[1] ولذلك يرى أنّه لا حاجة تدعو إلى أن نجعل حرفًا بمعنى حرف،

إذ قال:" فكذلك المرافق في قوله تعالى: {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق} غاية لما أوجب الله غسله من اليد[2] وتناول الزجاج فائدة لمجيئ الفعل (غسل) مع حرف الجرّ إلى في الآية الكريمة فقال:" فذكر الحدّ في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابع إلى المرفق، منقطع ممّا يغسل ودخل فيها يغسل، وقد قال بعض أهل اللغة معناه مع المرافق واليد المرفق داخل فيها، فلو كان (اغسلوا أيديكم مع المرفق) لم تكن في المرافق فائدة اقتطعت في الغسل من حد المرفق.[3]

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص 442.
[2] الطبري، جامع البيان، ج8، ص12.
[3] الزجاج، معاني القرآن واعرابه، تح: عبد الجليل عبده شبلي، ج2، ط1، 1988م، ص153.

قال تعالى: {عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا} [الإنسان/06]، قال الفرّاء:" وقوله عزّ وجلّ: يشرب بها، ويشربها، سواء في المعنى وكأن: يشرب بها، يروي بها".[1]

فالفراء قد جعل الباء زائدة، حين جعل قوله تعالى:" يشرب بها" بمعنى يشربها، كما أنّه ضمّن (يشرب) معنى (يروي)، ليسوغ تعديته إلى مفعوله(بالباء) لاب(من) وقال ابن قتيبة:" ويكون بمعنى: يشربها عباد الله ويشرب منها".[2]

وقال النحاس:" وقال الفرّاء: يشرب بها، ويشربها واحد، أحسن من هذا أن يكون المعنى: ويروى بها".[3]

وذهب الزمخشري إلى أنّ الباء جيء بها لعنى الإلصاق كأنّ المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول: شربت الماء بالعسل".[4]

وقد تبنىّ ابن عطيّة مذهب القائلين بزيادة الباء، فذهب إلى أن قوله تعالى:" يشرب بها هو بمنزلة يشربها،[5] وقال أبو حيّان الأندلسي:" يشرب بها" أي: يمزج شرابهم بها أتى بالباء الدالة

[1] الفراء، معاني القران،ج3، ص107.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح إبراهيم شمس الدين، ط2، 2007م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص301.

[3] النحاس، إعراب القران، ص 1240.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 655،656.

[5] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5، ص410.

على الإلصاق، والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول شربت الماء بالعسل، أو ضمّن(يشرب) معنى (يروى) فعدّي بالباء وقيل: الباء زائدة".[1]

وعند تفسير قوله تعالى: {وإذا خلو إلى شياطينهم} [البقرة/14].

ضعّف ابن عطية قول من ذهب إلى أنّ (إلى) بمعنى (مع) أو (الباء) بحجة أن هذا يأباه "الخليل وسيبويه" وغيرهما.[2]

والآية الكريمة:(إذ خلوا إلى شياطينهم) بمعنى إذا لقو الذين آمنوا قالوا آمنّا، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم، فيزعم أن الجالب ب (إلى)، المعنى الذي دلّ عليه الكلام: من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خاليين بهمن لا قوله(خلو) وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع(إلى) غيرها، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.[3]

ومثل هذا الموقف نجد كذلك في "الدر المصون"، إذ لا يكتفي السمين الحلبي بغرض الآراء على أنّها متقابلة لوجهات نظر مختلفة في تعليل ما يعرضه من شواهد، بل يعرض رأيه منتصرًا للتضمين على ما يقابله من قضاياه أثناء تفسيره لقوله تعالى:" إذا خلوا إلى

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص552.
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص96.
[3] الطبري، جامع البيان، ج1، ص 298.

شياطينهم". حينما قال:" وقيل (من) هنا بمعنى (مع) كقوله:" ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" وقيل هي بمعنى (الباء)، وأمّا البصريون فلا يجيزون التجوز في الحروف لضعفها.[1]

قال تعالى: {فردّوا أيديهم في أفواههم} [إبراهيم/ 09]، قال ابن مسعود وابن زيد أي جعلوا، أي: أيدي أنفسهم، في أفواه أنفسهم ليعوّضوها غيضًا ممّا جاءت به الرسل.[2]

والزمخشري إذ قال في تفسيره للآية الكريمة:" أي: رادّوا نعم الأنبياء التي هي أجلّ النعم من مواعظهم ونصائحهم، وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم، لأنهم إذا كذّبوها، ولم يقبلوها، فكأنهم ردّوها في أفواههم ورجعوها من حيث أتت منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله".[3]

إن وصل الفعل ب(في) عوض وصوله ب(الباء)،[4] وكذلك في قوله:" إن اللام توصل المعنى (على)،[5] وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {هو يقبل التوبة من عباده.} [التوبة/104]، يصحّ أن تكون (عن) بمعنى (من) وكثيرًا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه، وتقول: لا صدقه إلاّ عن غنىً، ومن غنى، لكن هذا لا يعتبر قاعدة مطردة، بحيث يوصل إلى المعنى الواحد بالحرفين، ف(على) في قوله تعالى: {قال من أنصاري إلى الله...} [آل عمران/53].

[1] أبن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص291.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 411.
[3] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص542.
[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص 327.
[5] المرجع نفسه، ج5، ص365.

أشار إلى أن ثمة خلافًا بين الكوفيين والبصريين في تعليل استخدام (إلى) في الآية الكريمة إذ يري أهل الكوفة ترادفًا بين (إلى) و(مع) أمّا أهل البصرة فيؤولونها بتضمين معنى الإضافة، أي من يضيف نصرته إلى نصرة الله،[1] يقول المرادي:" إنّما تجعل(إلى) ك(مع)، إذ ضممت شيئًا إلى شيء، كقوله العرب:" الذود إلى الذود إبل قال _أي الفراء_ فإن لم يكن ضمّ لم تكن (إلى) ك(مع) فلا يقال في (فلان مال كثير): إلى فلان فلان من كثير انتهى و كون (إلى) بمعنى(مع) حكاه ابن هشام عنهم وعن كثير من البصريين وتأوّل بعضهم ما ورد من ذلك على تضمين العامل، وإبقاء (إلى) على أصلها و(إلى) في الآية الكريمة أبلغ من (مع).[2]

فاكتسبت الآية الكريمة اتساعا بتضمين النصرة معنى الإضافة في لفظ واحد عبّر عن معنى الأول بلفظة وعن الثاني بذكر متعلقه المناسب للسياق.[3]

ثم يأتي ابن عطية ويعقّب على ذلك بقوله: نعم: إن (مع) تسدّ في هذه المعاني مسدّ إلى، لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إن (إلى) مع حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل الآية المذكورة سابقًا:" وأيديكم إلى المرافق"[المائدة/06].

[1] محمّد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د ط، 2010، دار الفكر، دمشق، ص363.
[2] المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ج2، ص309.
[3] محمّد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة، ص360.

إذ يقول إن(إلى) في هذه الآية غاية مجرّدة وينظر هل يدخل ما بعد إلى فيما قبلها من طريق آخر،[1] ويدعّي أن لا حاجة أن نجعل حرفًا معنى آخر، إذ قد أبى ذلك رؤساء البصريين.[2] ولم يمنعه احترامه للبصريين[3]وتقليده إياهم أحيانًا من أن يصف قول الفراء:[4]" إنّ (الباء) بمعنى(في) في قوله تعالى: {فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون} [القلم/06/05]، قول حسن قليل التكلّف،[5] ومع ذلك فإن الصواب عند ابن عطيّة أن لا نقول بأن حرفًا. بمعنى حرف، بل نقول: إنّ المعنى يتوصل إليه ب (في)و (الباء) أيضًا،[6] وكأن ابن عطيّة هنا يحاول الخروج من هذا الخلاف، الذي يأبى فيه التصريح باتباع الكوفيين، ويستعظم مخالفة البصريين بمصطلح لا يفيد نيابة حرف جر عن آخر ولا.

قال تعالى: {إنّما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء} بالتوبة/93]. (على) في هذه الآية الكريمة تحت اضطرابًا في الاطراد عند أبن عطيّة، فقد يوصل إلى المعنى (على) و(إلى) فتقول: لا سبيل على فلان، ولا سبيل فلان، غير أن وصولها ب (على) يقتضي

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص 442.
[2] المرجع نفسه، ج5، ص12.

أحيانًا ضعف المتصّل إليه، وقلة منعته لذلك حسنت في هذه الآية، وليس ذلك في (إلى)، ألا ترى أنّك تقول: فلان لا سبيل إلى الأمر، ولا إلى طاعة الله، ولا يحسن في شبه هذا (على).[1]

وكذلك الأمر في قوله عزّ وجلّ: {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا ...} [العنكبوت/02]، حيث جاءت(أن) الثانية في موضع نصب على تقدير إسقاط حرف الخفض وتقديره: " بأن يقولوا" ويحتمل أن يقدّر:" لأنّ يقولوا"، والمعنى في الباء واللام مختلفين، وذلك أنّه في الباء منا تقول تركت زيدًا بحاله، وهي في اللام بمعنى: من أجل أن حسبوا أن إيمانهم علة الترك، [2]وهذا الاختلاف يعني أن المعاني الدقيقة والأساليب التي تحمل إيحاءات ودلالات غير الدلالات القريبة الظاهرة لألفاظها لا يطرد معها رؤية.

أن المعاني يتوصل إليها بالحرفين، لأن كل حرف دلّ على معنى مستقل غير المعنى الذي دلّ عليه الآخر، ولذلك نجد ابن عطيّة في مواضع يذكر الحرف وما جاء من الحروف الأخرى على معناه، أو يحيكه عن غيره دون مناقشة له أو ردّ، ممّا يدلّ على موافقته إيّاه ومن ذلك موافقته على أن (الباء) بمعنى (اللام).[3]

[1] المرجع السابق، ص12.
[2] المرجع نفسه، ج4، ص 305.
[3] المرجع نفسه ، ج1، ص155.

وفي قوله عزّ وجلّ: {ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله} [البقرة/61]، وأنها يحتمل أن تكون بمعنى (مع)[1] في قوله تعالى: {واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم} [البقرة/93].

قال تعالى: {قل ابتي هداني ربّي إلى صراط مستقيم} [الشورى/52]، هنا لا يمكن أن نقول إن (إلى) بمعنى اللام أو العكس أو أن المتعدي بنفسه كما في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} [الفاتحة/ 06]، إنّما هو على إضمار حروف الجر، والحقيقة أن اهدنا الحق تختلف دلالتها عن: اهدنا للحق وهما يختلفان عن تهدي إلى الحق، وعلى هذا فإنّ لكل حرف معناه الخاص به ولا يمكن بحال أن ينوب حرف آخر، ويؤدي بتلك النيابة معناه، ولذلك كلّما نسب إلى البصريين هنا أكثر دقة مما نسب إلى الكوفيين، حيث لجؤوا إلى تضمين الفعل أو العامل معنى ما يتعدّى بالحرف دون المساس بقيمة الحرف المعنوية وأصليته لمكانه وأصدروا حكمًا يقضي بأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف،[2] فضمنوا الأفعال التي لا يعرف تعديتها بحرف الجر المذكور معها معنى أفعال تناسب وهذا الحرف.

قال تعالى: {فدخلي في عبادي وادخلي جنتي} [الفجر/29].

قال الزركشي:" وتجيء (في) بمعنى (مع) نحو: فادخلي في عبادي".[3]

[1] المرجع السابق ، ج1، ص180.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، ص621.

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص202.

وقال أبو حيان:" تتعدى أدخلي أولا ب(في) وثانيًا بنفسه لأنه إذا كان المدخول في ظرف غير حقيقي تعدّت غله ب(في) نحو دخلت في الأمر ودخلت في غمار الناس، وإذا كان المدخول ظرفًا حقيقيًا؛ تعددّت إليه بغير وساطة".[1]

قال تعالى: {واقعدوا لهم كل مرصد} [التوبة/05]، ذهب الزجاج إلى ان كل مرصد منصوب على الطرف، [2]ونقل هذين الوجهين ابن عطية والعكبري.

وقال أبو حيان:" وهذا الذي قاله الزجاج، قال:(كل مرصد) طرف... ردّه أبو عليّ: لأن المرصد المكان الذي يرصد فيه العدو، هو مكان مخصوص لا يحذف الحرف منه إلا سماعًا".[3]

وقال السمين الحلبي إنّ نصب كل مرصد شاذ لا يناقص بل يقتصر فيه السماع كقوله تعالى: {لأقعدن صراطك المستقيم} [الأعراف/16] أي على صراطك أتفق الكل على أنّه على تقدير (على).[4]

أمّا الواحدي فيقول:" قال الزجاج: معناه ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه، وهو اليوم الذي لا ريب فيه"[1]. وفي موضع آخر يقول ابن عطيّة:" ليضمكم إلى هذا اليوم الذي أنكرتموه وليجمعن بينكم وبينه".

[1]أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص472.
[2]العكبري، التبيان في إعراب القران، ج1، ص 471.
[3]أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص14.
[4]السمين الحلبي، الدرع المصون، ج6، ص12.

ويرى الزمخشري: أن يجمعنّكم جاءت بمعنى يحشرنكم فتعدى الفعل بحرف الجر إلى فيقول:" والله يجمعكم إلى يوم القيامة أي: ليحشرنكم إليه".[2]

قال الله تعالى: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان...} [البقرة/ 102]، و(على) في هذه الآية بمعنى(في)ن فيصير عندئذ في ملك سليمان بمعنى قصصه، صفاته، وأخباره،[3] ويقول الفراء تصلح (في) و(على) في هذا الموضع، تقول: أتيته في عهد سليمان وعلى عهد سواء.[4]

وقد ردّ أبو حيان على هذا القول قائلاً:" ليس الملك هنا بهذا المعنى؛ لأنه ليس شخصا يتلى عليه. فلذلك زعم بعض النحويين أن (على) تكون بمعنى (في)؛ أي تتلوا في ملك سليمان.[5] أضاف: "وقال أصحابنا: لا تكون(على) معنى (في). بل من التضمين في الفعل ضمّن تتقوّل فعديت ب(على)، لأن تقول تعدّى بها. قال تعالى: {ولو تقول علينا بعض الأقاويل} [الحاقة/ 44]. ومعنى على ملك لسليمان أي: شرعه ونبوته وحاله وقيل: على عهده وفي زمانه وهو قريب، وقيل: على كرسي سليمان بعد وفاته: لأنه كان من آلاته ملكه.[6]

[1] الواحدي، التفسير الوسيط، تح: الشيخ عادل عبد الموجود،ج2، ط1، 1994 م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص256.
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص185.
[3] المرجع نفسه، ص185.
[4] الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 63.
[5] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص63.
[6] المرجع نفسه، ص494.

قال الله عزّ وجلّ: {ليجمعنكم إلى يوم الدين} [الأنعام/ 12]. "أي ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة، والظاهر أن (إلى) للغاية والمعنى (ليحشرنكم) منتهين إلى يوم القيامة، وقيل: المعنى ليجمعنّكم في الدنيا ليخلقنكم قرنًا بعد قرن إلى يوم القيامة".[1]

[1] المرجع السابق، ص447.

خاتمة:

في نهاية بحثنا هذا حول التضمين ودلالته في تفسير المحرّر الوجيز "لابن عطية الأندلسي"، لا يسعنا إلاّ أن نقف وقفة إجلال لهذا الإمام الفذّ الذي سطّر لنا في تفسيره الفوائد القيّمة و النادرة التي قلّ أن يوجد لها نظير في تفسير آخر، لأنّ فيه أحسن ما في التفاسير، وهذا يدلّنا على السعة العلمية ، والثروة اللغوية ، التي كان يتمتّع بها في علوم اللغة، وقد تبيّن لنا في هذه الدراسة الأثر الذي يحدثه التضمين في اللغة العربية، مستمدًا هذا الأثر من القرآن الكريم ، الذي لا تنقضي عجائبه إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ويتمثل هذا الأثر في مظاهر التطور الدلالي عن طريق الاتساع في المعنى بعبارات واستعمالات موجزة تتضمن أكثر من معنى، من هذا المنطلق خلصنا هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- أنّ القرآن الكريم أحدث تراكيب لغوية جديدة لم يكن يعرفها العرب بالصورة التي استعملها القرآن الكريم.
- أنّ التضمين موضوع واسع فيه من الآراء والمذاهب الشيء الكثير، وقد حاولنا جاهدين تسليط الضوء عليه ومناقشته.
- أنّ التضمين مسألة اختلف الدارسون كثيرًا حوله، ما بين مؤيّد ومعارض، وقد عرّفه النحويون: أنّه إشراب كلمة معنى كلمة أخرى بحيث تؤدي وظيفتها"، "أمّا البلاغيون فيقولون إن يضمّن الشاعر شعره بيتًا من شعر غيره".

- أنّ التضمين أكسب الاستعمال تطوّرا في القاعدة إلى درجة يمكن القياس عليها.
- أنّ تعدّد فوائد التضمين في الدرس العربي، تمثلت في الدعوة إلى معرفة العربية وأسرارها ودقائقها، وتفسير المعاني والاتساع فيها.
- أن التضمين شامل لأنواع الكلمة الثلاثة: الأفعال، الأسماء، والحروف.
- أنّ التضمين يجري الفعل اللازم مجري المتعدّي والعكس، فهو لا يقتصر على تعدية الفعل بحرف جرّ لا يتعدّى به، بل يشيع إلى تضمين الفعل فعلا آخر في المعنى.

تـــــــمّ بحمـــــــد الله تعالى وبحســـــن توفيقـــــه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1/ ابن الأبّار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، 1989، دار الكتاب المصري، القاهرة.

2/ ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

3/ ابن المعتز، كتاب البديع، ط1، 2012 مؤسسة الكتب الثقافية لبنان.

4/ ابن جني، الخصائص، تح: محمد على النجار، د ط، 1952م، دار الكتب المصرية، مصر.

5/ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط5، 1981م، دار الجبل، بيروت.

6/ ابن عطيّة، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج1، ط1، 2001م، دار الكتب، بيروت.

7/ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي، د ط، د ت، دار التراث، القاهرة.

8/ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، ط2، 2007م، دار الكتب العلمية، بيروت.

9/ ابن مالك، شرح الألفية، تح: عبد الرحمان، د ط، 1274 دار هجر مصر.

10/ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله هشام محمد الشاذلي، د ط، 1999م، احياء التراث العربي، بيروت.

11/ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد، ط1، 1964م، المكتبة العصرية، بيروت.

12/ أبو البقاء الكوفي، الكليات، ط2، 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

13/ أبو حيان، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت.

14/ أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس، في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، 1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

15/ أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ط1، 2001م، دار العربية للعلوم، بيروت، دار الشروق للنشر، الأردن.

16/ الأشبيلي، قلائد القيعان ومحاسن الأعيان، تح: حسين خربوس، ط1، 1989م، مكتبة المنارة، الأردن.

أميرة حسن علي عبد الرحمان، التضمين ومقاصده النحوية والبلاغية، في القرآن الكريم، مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين، د ت، ع44.

17/ أنطوان، ديوان ابن الرومي، ط1، 1998م، دار الجبل، بيروت.

18/ إنعام فوال العكاوي، معجم الفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط2، 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت.

19/ بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: شريف أبي العلاء العدوي، ط1، 2008، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

20/ بن عمر قاسم مخلوق، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت.

21/ تمام حسن، البيان في روائع القرآن، ط1، 1993م عالم الكتب، القاهرة.

22/ التيمي، مجاز القرآن، تح أحمد فريد المزيدي، ط1، 2006، دار الكتب العلمية بيروت.

23/ الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، ط1، 1985م، دار الفضيلة القاهرة.

24/ جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: إبراهيم محمد، د ط، 1911م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

25/ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، د ط، 2009م، دار الحديث القاهرة.

حجز عاصي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ط2، 1998م، دار الفكر العربي، بيروت.

26/ الحموي، معجم البلدان د ط، 1993، دار صادر، بيروت.

27/ الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلق الله، ط3، 1976م، دار المعارف، مصر.

28/ الخطيب التبريزي، شرح الديوان عنترة، ط1، 1992م، دار الكتب العربية، بيروت.

29/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

30/ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محد السعيد بن بسيوني زعلول، ط1، 1985مأ دار الكتب العلمية، بيروت.

31/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط11، 1996م، مؤسسة الرسالة بيروت.

32/ الرازي، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، ط3، 2009م، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا.

33/ الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الدوادي، د ط، 2009م، دار الشامية، دمشق.

34/ الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تح: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، ط3 1976، دار المعارف مصر.

35/ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، 1988م، عالم الكتب، بيروت.

36/ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي فاضل الدمياطي، د ط، 2006م م، دار الحديث، القاهرة.

37/ الزعبلاوي صلاح الدين، التضمين مجمع اللغة العربية، 1980م، دمشق، ع:55.

38/ الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.

40/ الكشاف، ط3، 2009م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

41/ سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، 1998م، دار النهضة العربية، بيروت.

42/ السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت.

43/ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، 1988م، الخانجي، القاهرة.

44/ السيوطي، بغية الوعاة، على طبقات اللغوين والنحاة، تح: محمد ابي الفضل إبراهيم، ط1، 1965م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

45/ الشنقيطي أحمد أمين، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ط1، 2005م، مكتبة المعارف، بيروت.

46/ الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، د ط، د ت، المكتبة الوقفية مصر.

47 / الطبري، جامع البيان ط2 2006، دار إحياء التراث العربي بيروت.

48/ عباس حسن، النحو الوافي، ط3، 1975م، دار المعارف، مصر.

49/ عبد الجبار التوامة، التعددية والتضمين في الأفعال العربية، ط3، 1994م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

50/ العز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تح: محمد مصطفى بن صالح، د ط، 1992م، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

51/ العكبري، إعراب القراءات الشواذ، تح: محمد عزون، ط1 1996، عالم الكتب، بيروت.

52/ عيشة أبو الفتح، ظاهرة التضمين في النحو العربي وموقف النحاة منها،2016م، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، مصر، ع:6، 2016م.

53/ فاضل السامرائي، معاني النحو، ط1، 2000، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن.

54/ الفيروز ابادي، القاموس، ط8، 2005م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

55/ اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1، 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

56/ المتنبي، الديوان، د ط، 1983، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

57/ محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع والبيان، ط1، 2003م، المكتبة العصرية، لبنان.

58/ محمد الأمين المؤدب، معالم وعوالم في البلاغة العربية، د ط، 2014، مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت لبنان.

59/ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، 1984م، دار التونسية للنشر، تونس.

60/ محمد حسن عواد، تناوب حروف الجر في القرآن الكريم، ط1، 1982م، دار الفرقان.

61/ محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ط1، 2005م، دار الزمان، المدينة المنورة.

62/ محمد نور الدين، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د ط، 2010، دار الفكر دمشق.

63/ المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت.

64/ النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفاضل إبراهيم، ط1، 1991م، دار الكتب العلمية، بيروت.

65/ النحاس، إعراب القرآن، تح محمد تامر ومحمد عبد المنعم، د ط، 2007، دار الحديث، القاهرة.

66/ هاشم ابن أحمد العزام، التضمين العروضي، مجلة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، السعودية، ع:43، 2007م.

67/ الهروي، الأزهية في علم الحروف، تح عبد المعين الملوحي، د ط، 1971، المكتبة الوقفية، دمشق.

68/ الواحدي، التفسير الوسيط، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ط1 1994، دار الكتب العلمية، بيروت.

الفهـــــــــــرس

فهرس المواد:

البسملة

عبارات شكر

إهداء

مقدمة:

مدخل:.....4

الفصل الأول: التضمين المفهوم والمقاصد.....11

مفهوم التضمين:.....11

مقاصده:.....18

التضمين بين الحقيقة والمجاز:.....23

قياسية التضمين وشرائطه:.....25

الفصل الثاني: أشكال التضمين في تفسير المحرر الوجيز:.....26

التعريف بابن عطية:.....32

التضمين في الاسم:.....38

التضمين في الفعل:.....52

التضمين في الحرف:.....64

خاتمة:.....80

قائمة المصادر والمراجع:.....82

الفهرس:.....91

ملخص:

تناولت هذه الدراسة قضيّة التضمين، وقد ركّزت اهتمامها على الجانب النحوي من هذه الظاهرة، ومحاولة استجلاء مفهوم التضمين ومعرفة مقاصده، وكذلك التضمين بين الحقيقة والمجاز وقياسيته وشروطه وفوائده، كما تناولت التضمين وأغراضه في تفسير المحرّر الوجيز لابن عطيّة.

وقد بينت لنا هذه الدراسة بفضل الله تعالى ونعمته: الدور الفاعل الذي لقضية التضمين النحوي على الدلالة في اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: النحو، البلاغة، التفسير، التضمين، القياس.

Résumé :

L'objet de la présente étude est de révéler in style rhétorique dans le saint Coran à travers son interprétation chez Ibn Aatya El Analousi.

Le plan de recherche est constitué d'une introduction, une préface et de deux chapitres, dont le premier est consacré à la définition du terme simulation rhétorique et son rôle sémantique, quant au deuxième chapitre, il a été dévoué aux différentes structures de simulation dans les textes Coraniques à savoir la simulation des noms, des verbes et des prépositions.

Mots clés :Grammaire, rhétorique, Interprétation, Simulation, 94Syllogisme.